المنهج الدعوي في تربية
الجماعة المسلمة في ضوء سورة المجادلة

الدكتور
عبد العزيز عبد المطلب السيد

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢١٣ / ا . ع	السيد ، عبد العزيز عبد المطلب . المنهج الدعوي في تربية الجماعة المسلمة في ضوء سورة المجادلة / إعداد عبد العزيز عبد المطلب السيد .ـ ط١.ـ دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع . ١٦٨ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم . تدمك : ٦ ـ ٤٣٥ـ ٣٠٨ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨ ١. الإسلام ــ دعوة . ٢. التربية الإسلامية أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١١٨٣٩ـ٢٠١٥.

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق ـ شارع الشركات ـ ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ ـ فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

فهرس المحتويـــات

الفصل الأول
منهج الدعوة في الإسلام

معنى الدعوة :

الدعوة في اللغة : جاء في لسان العرب في مادة "دعا" دعا الرجل دعوا ودعاة ناداه، والاسم الدعوة ودعوت فلانا صحت به واستدعيته ودعوة الحق شهادة أن لا إله غلا اللّٰه وتداعى القوم ودعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا والدعاة قوم يدعون إلى هدى أو ضلال ورجل داع إذا كان يدعو الناس إلى دين والنبي داعي اللّٰه وكذلك المؤذن[١].

وفي مختار الصحاح مادة "دعا" الدعوة إلى الطعام يقال كنا في دعوة فلان أو مدعاة فلان، والمراد بهما الدعاة إلى الطعام وهما مصدران والدعوة بالكسر والنصب وتداعت الحيطان أي تهدمت ودعاه صاح به[٢] وفي القاموس المحيط الدعاة الرغبة إلى اللّٰه يقال دعا دعاة وتداعوا عليه تجمعوا ودعاه ساقه والنبي دعى اللّٰه ويطلقه على المؤذن ودعوته سميته[٣]﴿...أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ...﴾ [سورة الإسراء:١١٠]

(١) ابن منظور، لسان العرب، جـ٢، دار المعارف، مادة "دعا"، ص ١٣٨٥ – ١٣٨٩.
(٢) مختار الصحاح، دار المعارف، مادة "دعا"، ص ٢٠٥.
(٣) القاموس المحيط، مادة "دعا"، جـ٤، ص ٣٢٩.

والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، وفي الحديث: فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، يريد أهل السنة دون البدعة، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا، ودعاه إلى الأمير أي ساقه، وقوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٤٦]. "معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة[1].

والدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده، والدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقا أو باطلا، وفي ذلك حكاية القرآن عن سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ... ﴾ [سورة يوسف:٣٣] أي من طاعة النسوة والوقوع في الإثم، وكما ورد في قول الرسول للأوس والخزرج حين اصطفوا للقتال "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم". ومن الحق قوله تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ... ﴾ [سورة الرعد:١٤]، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ... ﴾ [سورة يونس:٢٥]، وفي كتابه ﷺ إلى هرقل (أدعوك بدعاية الإسلام)[2] أي بدعوته وهي كلمة

---

(١) لسان العرب، جـ٢، ص ١٣٨٧ ــ ١٣٨٩.
(٢) فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٣٧٧.

الشهادة وإتباع منهج الله ولذلك قال مؤمن فرعون ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾ [سورة غافر:٤١] فاستبان لنا أن هناك دعوة إلى الجنة وأخرى إلى النار.

والدعوة هي المحاولة القولية أو الفعلية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة، وهي الابتهال والسؤال[١] فجاء في المصباح المنير، دعوت الله أدعوه، وأدعوه دعاه أي ابتهل إليه بالسؤال وأرغب فيما عنده من الخير[٢].

الدعوة في الإصلاح :

الدعوة هي حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة الآجل والعاجل **وتتمثل في ثلاثة أنواع**: الأول دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام، والثاني دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتأمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر ويقوم به خاصة الأمة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع، والثالث ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ويستوي في ذلك الخاصة

---

(٣) جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة، ص ١٤.
(٤) المصباح المنير، الجزء الأول والثاني، الطبعة الثامنة، القاهرة ١٩٣٩، مادة "دعا"، ص ٢٦٤-٢٦٦.

والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه والنهي عن الشر والتحذير منه[1] وقال تعريف هذه الكلمة هي: نقل الأمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمة الداعية، وفيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته[2] وفريق ثالث من العلماء يقولون: أنها الحركة الإسلامية في جانبيها النظري والتطبيقي من حيث حركة بناء الدولة ودفاع عن استمرار وجودها[3]. أما الفريق الرابع من العلماء فيعرفونها بأنها: "برنامج كامل يضم في أطواله جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق الذي يجمعهم راشدين[4]، وقيام من عنده أهلية الدعوة إلى اللّٰه بترغيب الناس إلى فعل الخير وتحذيرهم من الوقوع في النشر وانقاذهم مما وقعوا فيه وبيان محاسن الإسلام لغير المسلمين ليدخلوا فيه[5].

وعلى هذا فإن الدعوة هي التزام بدين اللّٰه الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه والذين يستجيبون لهذه الدعوى هم حزب اللّٰه، ويقول ابن القيم: "الدعاة جمع داع كقاض وقضاة ورام ورماة وإضافتهم إلى

---

(١) علي محفوظ، هداية المرشدين، طرق الوعظ والخطابة، الطبعة التاسعة، دار الاعتصام ١٩٧٩، ص١٧.
(٢) البهي الخولي، تذكرة الدعاة، مكتبة وهبة، ص ٢٧.
(٣) رءوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها الملكي، ومناهجها وغاياتها، الطبعة الثانية، دار الفكر بالكويت ١٩٨٢، ص٣٦.
(٤) الشيخ محمد الغزالي، مع الله، الطبعة الخامسة، دار الكتب الإسلامية ١٩٨١، ص١٧.
(١) الشنتيوي، الدعوى الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٠، ص٣٦.

الله للاختصاص أي الدعاة المخصوصون به، الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة، وأعلاهم قدرا فالداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس بالقول والعمل إلى الإسلام وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته"(١).

الدعوة في القرآن :

وردت مادة الدعوة في القرآن مائتين واثنتي عشرة مرة وتعددت صيغتها وعباراتها وأساليبها ودارت مادتها على ست وسبعين صيغة، وقد جاءت فعلا ماضيا ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ...﴾ [سورة آل عمران:٣٨]، وجاءت مضارعا ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ...﴾ [سورة يوسف:١٠٨]، وأمر ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وجاءت اسم فاعل ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ...﴾ [سورة الأحزاب:٤٦].

الدعوة في السنة النبوية:

وردت الدعوة في أحاديث الرسول ﷺ كثيرا، ومن الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن: "ادعمهم إلى

---

(٢) جمعة أمين عبد العزيز، المرجع السابق، ص ١٤، ١٥.

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم استجابوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة وصدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم"[1]، وكذلك ما جاء في رسالة النبي صلى اله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم حيث جاء في الرسالة: "فإني أدعوك بدعاية الإسلام"[2].

الحاجة إلى الدعوة وأهميتها:

يقول الشيخ علي محفوظ في هذا الموضوع: "ومن أمعن النظر علم أن الدعوة حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها إلا بترك الدعوة، فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب سواء أكان ذلك الأمر حقا أم باطلاً"[3].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، جـ١، ص ١٩٨ – ٢٠٠.
(٢) الشتيوي، الدعوة الإسلامية، ص ٣٤.
(٣) هداية المرشدين، ص ١٤.

فالخير والشر يصطرعان والحق والباطل يتغالبان منذ إباء إبليس السجود لآدم عليه السلام والحق والخير والإيمان والكفر والشر والباطل أما أن ينتصر هذا أو ذاك ولكل أسلحته لكن اقتضت إرادة الله أن يكون البقاء للأصلح، والدوام للأنفع، وأن يكون النصر دائما في النهاية للحق، وأن تكون العاقبة لأهله والمستمسكين به ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٨] لكن هذا الحق لن ينتصر إلا إذا دافع عنه جنوده وأناس تعلقت قلوبهم بالآخرة وانتصروا على أنفسهم، من أجل ذلك أرسل الله الرسل وأيدهم بالكتب السماوية لينير لهم طريق الظلام إلى النور، ولقد خلق الله الإنسان وركب فيه العقل وخلقه على فطرة تقية ﴿...فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم:٣٠] . ولكن العقول وحدها لا تصل إلى الحق لأنها لا تصل إلا إلى محسوس، والإنسان نفسه لا يهتدي إلى الغيبيات إلا عن طريق الرسل الذين حملهم الله أمانة التبليغ فأوحى إليهم. ولقد اقتضت عدالة الله ألا يعذب الناس حتى يبعث فيهم رسالة فيقول تعالى: ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:١٥] . ولا يصح أن يقال إن الرسول

هذا هو العقل كما نقل عن المعتزلة وإذا سلمنا بهذا فإن الإنسان لا يهتدي إلى الحق إلا بعد تبليغ الرسل له يجب أن نسلم كذلك بأنه بعد ختم الرسالات وانقطاع النبوءات كان لابد من قيام الدعاة بوظيفتهم وسيرهم على آثارهم ومصداق ذلك من القرآن الكريم قول الله عز وجل: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة البقرة:٣١]، ولذلك يجب على كل قادر على التبليغ والدعوة إلى الله أن يقوم بأدائهما[1].

وعلى ذلك فالدعوة إلى الله مطلوبة لأنها تعليم وتربية وعليها عماد السعادة في الدنيا والآخرة فأمر الله بها نبيه محمدا ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وأمر بها المؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، كما أمرهم بها النبي ﷺ بمثل قوله: "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"[2]، وقوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره"[3].

(١) محمد شوقي نصار، دعوة الحق، مطبعة التقدم، ص ٤٩ – ٥٢.
(٢) البخاري، كتاب باب العلم، جـ١، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ص١٩٩.
(٣) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، جـ١٣، ص ٢٦١.

ومن مظاهر أهمية الدعوة أن الله سبحانه وتعالى جعلها عنوان شرف لأمة النبي ﷺ تمضي بها في العالمين داعية إلى الخير ومحذرة من الشر، منتصرة للحق ومناهضة للباطل بحيث أصبحت هذه المهمة على هذا النحو كأنها دور قدري منوط بهذه الأمة أن تنهض به لهداية البشرية وقيادتها بالإسلام نحو الحق والعدل على أساس من الإيمان بالله الذي بيده كل شيء وإليه المرجع والمصير قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ [سورة آل عمران:١١٠] ، كما جعلها من أهم قواعد المجتمع الصالح قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الحج:٤١].

وهذه الأمانة الثقيلة التي تحملها رسل الله فبلغوها للناس على أكمل وجه فأثمرت في نفوس من توجهوا بهذه الدعوة فأصبحت ميراثا توارثه أتباعهم من بعدهم يقومون به إنطلاقا من توجيهات القرآن الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٤] وترغيبه سبحانه في القيام بهذا الواجب في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ...﴾ [سورة فُصِّلَت:٣٣] ، وبهذه الدعوة العامة يتم التناصح بين المسلمين للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم.

(**والدعوة العامة التي يتم بها التناصح بين المسلمين**):

وللدعوة إلى الله مراتب: **الأولى**: دعوة الأنبياء لأنها راجحة على دعوة غيرهم: أنهم جمعوا بين الدعوة بالحجة أولا، والدعوة بالسيف ثانيا حماية لها ودفاعا عن الحق وأهله لا قهرا على الدخول في الدين فما شرع الجهاد إلا لحماية الدعوة ومنع الاعتداء على المسلمين وتأمينهم على دينهم وعقيدتهم وقلما اتفق لغيرهم الجمع بين الطريقين، وأنهم المبتدئون بهذه الدعوى وأما العلماء فإنهم يبنون دعوتهم على دعوة الأنبياء والسابق بإظهار الأمر الشريف أفضل، وأن نفوسهم أقوى قوة وأرواحهم أصفى جوهرا فكانت تأثيراتها في إحياء القلوب الميتة وإثارة النفوس المظلمة أكمل، وإن نفوس الأنبياء حصل لها ميزتان: الكمال في الذات والتكميل للغير فكانت قوتهم على الدعوة إلى الله تعالى أقوى وكانت درجاتهم أفضل وأكمل.

الثانية والثالثة: وهما دعوة العلماء والملوك بطريق الخلافة عن أنبياء الله تعالى وذلك أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفتين: العلم والقدرة، والعلماء نواب الأنبياء في العلم، والملوك العادلون نواب الأنبياء في القدرة والعلم يوجب الاستيلاء على الأرواح، والقدرة توجب

الاستيلاء على الأجساد، فالعلماء خلفاء الأنبياء في عالم الأرواح، والملوك خلفاء الأنبياء في عالم الأجساد.

والدعوة العامة التي يتم بها التناصح بين المسلمين تنحصر في عدة نقاط:

أولاً: أن يقوم المسلمون بدعوة الأمم الأخرى إلى الإسلام، وأن يشاركوهم فيما هم عليه من الهدى ودين الحق، وهذا واجب هذه الأمة بمقتضى جعلها خير أمة أخرجت للناس مقيدا بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وبحكم وصف المؤمنين الذين أذن لهم في القتال في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة الحج:٤١] ، فالواجب دعوة الناس إلى الإسلام فإن أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ويتمثل هذا في البعثات التي يرسلها الأزهر والدول المسلمة من الدعاة إلى البلاد غير الإسلامية لنشر الإسلام والتمكين له في هذه البلاد.

ثانيــاً: دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير، والأمر فيما بينهم بالمعروف والنهي عن المنكر ويقوم بهذا الموضوع خواص الأمة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة التوبة:١٢٢].

ثالثــاً: ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، ويستوي في ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه، والنهي عن الشر والتحذير منه، كل بما يعرفه، فإذا رأى أحد المسلمين أخاه على منكر هو يعلمه تصدى لنصحه وإرشاده وبين له أمر الله وما نهى عنه برفق ولين، فذلك من التواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي جعله الله عز وجل آية الإيمان الصحيح وسببا للنجاة من الخسران المبين[1] في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر١ :٣]

(١) محمد شوقي نصار، دعوة الحق، ص ٤٧، ٤٨.

حكم الدعوة ووجوب تبليغها:

"إن الحاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى شديدة وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين والمهمة التي بعث الله لها النبيين والمرسلين ولو أهمل أمرها لاضمحل الدين وفشا الضلال وعم الفساد وهلك العباد وساء حال البشرية لهذا جاء وجوبه في الكتاب والسنة وعليه انعقد الإجماع، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].

ولهذا كان للعلماء أقوال منها: "إن الدعوة إلى الله واجبة وجوبا كفائيا إذا كثر الصالحون" وقال بعضهم تكون عينيه كفائية فلو قام بهذا البعض سقط الطلب عن الباقي ويكون عينيا إذا لم يوجد إلا واحد يصلح لها فتجب عليه بعينه". وقال البعض الآخر: أنها تكون واجبة في الأمر بالشيء الواجب والنهي عن الشيئ المحرم وتكون مندوبة في الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه، وإن كان ذلك يتم ببعض الدعاة كان الواجب أو الندب على الكفاية وإن كان يتم بواحد بعينه كان الوجوب أو الندب على التعيين والدعوة إلى الله مهمة كل إنسان في أمة الرسول ﷺ كل إنسان يقوم بها حسب استطاعته فمن علم شيئا وجب عليه تبليغه"[1].

---

(١) الأوقاف، قضية الدعوة والجهاد، ص ١٢.

أما دقائق الأمور فهي واجبه على العلماء ولا نصيب فيها للجاهل حتى لا يفتري على الله الكذب، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ...﴾ [سورة النحل:١١٦]، وبقوله ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا"[١].

ولقد رغب الحق سبحانه وكذلك الرسول ﷺ في القيام بواجب الدعوة والتحذير من القعود عن آدائها، فقال سبحانه محذرا المتهاونين بواجب الدعوة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة ٧٨ :٧٩] .

وقال ﷺ: "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها وأداها

(٢) صحيح مسلم، جـ١٦، باب العلم، ص ٢٢٣، ٢٢٤.
(١) البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس على الإسلام والنبوة، جـ١٢، ص٧٢، مسلم؛ فضائل الصحابة، باب ٣.

كما سمع."[1]، وقوله ﷺ : "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[2]، وهدد الرسول المتهاونين بتعجيل الله عقابهم في الدنيا فقال عليه الصلاة والسلام: "لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم تدعون فلا يستجيب لكم"[3].

أهداف الدعوة :

تهدف الدعوة إلى:

أولا: تأسيس مجتمع إسلامي: كدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، التي كانت تبدأ في المجتمع الجاهلي من دعوة الناس إلى دين الله وتبليغهم وحيه وتحذيرهم من الإشراك به.

ثانيا: دعوة الإصلاح في المجتمعات المسلمة التي أصيبت بشيء من الانحراف وظهر فيها المنكرات وضيع فيها بعض الواجبات.

ثالثا: استمرار الدعوة في المجتمعات القائمة بالحق للحفاظ على سلامتها بالموعظة الدائمة والتذكير والتزكية والتعليم[4].

كما تهدف الدعوة إلى الأمانة فقد حمل الله أنبياءه أمانة الدعوة وأمانة تبليغها إلى الناس، وإذا ما قصروا فيها فإن تقصيرهم سوف

---

(٢) أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، جـ٣، ص ٣٢١.
(٣) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص ٢٢٧.
(٤) السيوطي، الجامع الصغير وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط، جـ٢، ص ١٢٢.
(٥) جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة للطبع والنشر، ص ١٦، ١٧.

يعرضهم للحساب الشديد عند الله، لذا رأينا الرسل عليهم السلام يؤدون واجبهم في نشر الدعوة ولو كانوا في أحرج ظروفهم وأضيق أوقاتهم، فهاهو سيدنا يوسف عليه السلام انتهز فرصة وجوده في السجن والتفاف الناس حوله فدعاهم إلى التوحيد وترك ما جاءوا من أجه وهو تفسير الرؤيا وهذا ما قصه القرآن الكريم بقوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة يوسف:٣٩] . ثم يعبر الرؤيا بعد تبليغ الدعوة فيخبرهم ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ ... ﴾ [سورة يوسف:٤١] ، فإن سيدنا يوسف عليه السلام يعلم بأن الدعوة أمانة وأن تبليغها واجب لهذا بلغها وهو في ضيق السجن وليعلم الدعاة كذلك أن في أداء الأمانة إقامة الحجة على الناس حتى لا يعتذر معتذر بعدم بلوغ الدعوة إليه قال تعالى: ﴿ ...لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [سورة النساء:١٦٥] .

كما تهدف الدعوة أيضا إلى إنقاذ الأمة، فالدعاة حينما يؤدون الأمانة ويقيمون الحجة فإنهم يقدمون لأمتهم أجل الخدمات لإنقاذها من الضلال والأخذ بيديها إلى الخير ويبعدون الأمة عن الدمار والخراب وحتى لا تتعرض لسخط الله ولا ينزل بها عذابه وتكون من الفائزين في الدنيا والآخرة[١]، وهكذا بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ليعرفوا جماهير البشر بالله وبما أمر به ونهى عنه وليقودوهم قيادة حسنة إلى

---

(١) محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص٨٨.

الصراط المستقيم، والصراط المستقيم خط معنوي ترسمه حسب طبيعة كل إنسان إرشادات الوحي الأعلى، ولما كان الناس خطائين بطبيعتهم، وكانت أهواؤهم تغلب على أحوالهم فإن نقلهم إلى الصواب وتثبيتهم عليه يحتاج إلى جهد متصل ودعوة مستمرة". ولذلك جاء الأمر بالدعوة في مواطن كثيرة من القرآن الكريم: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ...﴾ [سورة الشورى:١٥] ، و﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ...﴾ [سورة يوسف:١٠٨] ، و﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥] و﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ...﴾ [سورة فُصِّلَت:٣٣] و﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ...﴾ [سورة يونس:٢٥] .

فضل الدعوة من القرآن الكريم والسنة النبوية:

يقول الله عز وجل موضحا فضل الدعوة إلى عبادته ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فُصِّلَت:٣٣] أي دعا عباد الله إليه وهذا الداعية مهتد في نفسه بما يقوله لنفسه ولغيره وليس من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك(١)، وهذه بشارة من الله سبحانه وتعالى يطمئن بها قلوب

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٤ مكتبة التراث الإسلامي، ص ١٠٠.

الدعاة إلى عبادته ولاسيما إذا ما أخلصوا النية في القيام بهذا العمل الجليل وبين فضله.

ويقول صاحب الظلال الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية: "إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات فتصبح الدعوى خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ". والمقصود بالداعية في هذه الآية طبقة العلماء العاملين الذين يجمعون بين الإيمان والاعتقاد لدين الإسلام والعمل بالخير والدعوة إليه.

ويقول الله عز وجل كذلك ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤] ويفسر ابن كثير[١] هذه الآية فيقول ولتكن منكم أمة قائمة بأمر الله في الدعوى إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون، قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء، وقال أبو جعفر الباقر قرأ رسول الله ﷺ "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" ثم قال "الخير اتباع القرآن وسنتي" رواه ابن مردوديه، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الرشيد بحلب، جـ ١٥، ص ١٢٣.

ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، ويثيب الله أولئك الذين قاموا بهذا الواجب الشاق بالفلاح في الدنيا والآخرة فقال سبحانه ﴿... وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨٨﴾ [سورة التوبة:٨٨] وهذه الثمرة العظيمة درسا للدعاة المخلصين حتى لا تثنى عزائمهم عن القيام والاستمرار في أداء هذه المهمة.

وهناك الكثير من الآيات التي توضح فضل ومنزلة الدعوة إلى اللغة ﴿... فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ...﴾ [سورة التوبة:١٢٢]،﴿... فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣﴾ [سورة النحل:٤٣] ، ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ...﴾ [سورة آل عمران:١٨٧] ، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥] ، ﴿... وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ...﴾ [سورة الجمعة:٢].

ويبين الرسول عليه الصلاة والسلام فضل الدعوى من خلال أحاديثه النبوية الشريفة فيقول ﷺ: "وإن العماء ورثة الأنبياء"[(١)]، وروى الترمذي عن أبي أمامة مرفوعا "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر... يصلون على معلم الناس الخير"[(٢)]، وروى مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[(٣)].

---

(١) أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، جـ٣، ص ٣١٦.
(٢) الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، جـ٥، ص ٤٨، وقال هذا حديث غريب.
(٣) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص٢٢٧.

وروى البخاري عن علي كرم الله وجهه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم"[1]، وقال رسول الله ﷺ: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة"[2]، وقال ﷺ: "كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة"[3]، وقال ﷺ: "مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكن الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ"[4]، وقال عليه السلام: "الدال على الخير كفاعله"[5].

(٤) البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة، جـ١٢، ص٧٢.
(٥) أخرجه أحمد في المسند، جـ٣، ص ١٥٧.
(٦) العجلوني، كشف الخطاء، جـ٢، ص ١٦٨.
(٧) البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، جـ١، ص ٢٧٤.
(٨) ذكره الحسابي في مجمع الزوائد، جـ١، ص ١٦٦، وغزاه للبزار.

مصادر الدعوة

أولاً: القرآن الكريم:

إذا ما أراد الداعية المسلم أن يأخذ أصول دعوته فإن الأصل الأول هو القرآن الكريم الذي يستقي منه الدعاة مبادئ الدعوة ومناهج الرسالة وصولا إلى تحقيق الغاية التي من أجلها يبذلون الجهود ويواصلون الجهاد[1]، فالقرآن الكريم مصدر الإسلام لما حواه من علم الغيب ووصفه الله بأنه برهان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ... ﴾ [سورة النساء:١٧٤] ، وبأنه نور ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ...﴾ [سورة الشورى:٥٢].

ولذلك "ينبغي على الداعية أن يحفظ من القرآن الكريم قدر ما يستطيع، بل يجب به أن يحفظ القرآن كله ويستظهره متى تيسرت له أسباب ذلك ليكون أقدر على استحضاره، والاستشهاد به في كل مناسبة ممكنة، فالقرآن ذخيرة لا تنفد ومعين لا ينضب لإمداد الدعاة"[2]. ومما يلاحظ على دعاة اليوم الذين كلفوا بشغل وظيفة الإمامة دون التسلح بكافة أسلحة الدعوة أنهم لا يحفظون القرآن

---

(١) محمد طلعت أبو صير، الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم، المطبعة العربية الحديثة، ص٤١٨.
(٢) يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، مكتبة وهبة ١٩٨٦، الطبعة الثانية، ص٨.

الكريم بل ربما لا يحسنون تلاوته وهذا مما يؤثر عليهم في دعوتهم إذ يجعلهم يهربون من هذه المهمة بل ربما يحدث أكثر من ذلك وهو انصراف الناس عنهم لأنهم أصبحوا لا يثقون في كلامهم فقد جربوا عليهم عدم الكفاءة فأصبحوا لا يعيرون دعوتهم اهتماما.

فالقرآن الكريم يمتاز بخصائص عدة منها:

أولا: " إنه كلام الله والمعنى أنه لا دخل لأحد فيه، وهذا واضح من آياته المحكمات فيقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [سورة الشعراء١٩٢ :١٩٥].

ثانيا: ومن نعمة الله على أمة الإسلام أن جاءت كلمات القرآن واضحة بينة، ومن اليسير على الإنسان أن يحفظها ويفهم معانيها فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [سورة القمر:١٧] ، "وكل هذا يوجب على الداعية أن يعرض القرآن سهلا ميسرا كما أنزله الله ولا يضعه في إطار من الألغاز والمعميات والتكلفات التي تخرجه عن طبيعته الميسرة والميسرة كذلك".

ثالثا: لقد تحدى الله به العرب جميعا وهم ملوك البيان وفرسان البلاغة ومع ذلك عجزوا على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨٨] كما جاء القرآن الكريم معجزا بيانيا وموضوعيا وعلميا.

رابعا: ويمتاز القرآن الكريم بأنه صالح لكل زمان ومكان خالد عبر الأجيال وقد تكفل الله سبحانه بحفظه من التحريف فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿...وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ...﴾ [سورة فُصِّلَت٤١ :٤٢].

خامسا: "وكما أنه كتاب الزمن كله هو كتاب الدين كله: جمع أصول الهداية الإلهية، والتوجيه الرباني في العقائد والشعائر والآداب والأخلاق، كما جمع أصول التشريع الإلهي في العبادات والمعاملات وشئون الأسرة وعلاقات المجتمع الصغير والكبير، المحلي والدولي حتى أن أطول آية فيه إنما

أنزلت لتنظم شأنا من شئون الحياة الاجتماعية وهي آية الدين"، ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:٨٩] ، وقد أكد الخليفة الأول أبو بكر الصديق أن القرآن شامل لكل شيء فقال: "لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله".

فإن تدبرنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن الله تبارك وتعالى يقص علينا أخبار الرسل في أمور الدعوة حتى نفقهها ونتزود منها لأن الله جل جلاله ما قصها علينا وأخبرنا بها إلا لنستفيد منها ونتزود من معانيها قال تبارك وتعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة هود:١٢٠] . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين كل هذا مما نثبت به فؤاد يا محمد أي قلبك ليكون لك ممن مضى من إخوانك المرسلين أسوة"(١). وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ...﴾ [سورة يوسف:١١١] ، فما جرى للأنبياء وأممهم نهج ينبغي أن يستفيد منه

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٢، دار إحياء الكتب العربية، ص ٤٦٥.

الدعاة قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ...﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

ألا وإن الغاية من إنزال القرآن على قلب الرسول ﷺ أن يضيء للناس طريق الظلام ويرشدهم إلى طريق النور قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [سورة إبراهيم:١]. وعن علي رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ، إن أمتك ستفتتن بعدك فسأل رسول الله ﷺ، أو سئل ما المخرج منها؟ قال كتاب الله العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم في غيره أضله الله ومن ولي هذا الأمر من جبار يحكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذي سمعته الجن فلم تنته أن قالت: ﴿...إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [سورة الجن١ :٢]. على طول الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه[1].

ثانيا: السنة النبوية:

سنة الرسول ﷺ هي المصدر الثاني في التشريع والمصدر الثاني من مصادر الدعاة، وهي كما عرفها علماء اللغة أنها العادة والطريقة قال

(١) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ١، كتاب القرآن، ص ٢٧٢.

تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ...﴾ [سورة آل عمران:١٣٧] أي طرق، وقول الهزلي: فلا في تجزعن من مسيرة أنت سرتها – فأول راضي سنة من يسيرها، وعرفها علماء الحديث بأنها ما جاء منقولا عن النبي ﷺ على الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز كان بيانا لما في الكتاب أولا، وتطلق كذلك في مقابل البدعة، وهي تشمل قول النبي ﷺ وفعله وتقريره تلقى ذلك بالوحي أو بالاجتهاد بناء على صحته في حقه، وما جاء عن الصحابة أو الخلفاء وهي في إصلاح علماء الأصول ما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير، ومنزلة هذه الدراسة من متن الحديث منزلة التفسير من القرآن وكما أن الدعاة لا يستغنون عن القرآن وتفسيره لا يستغنون كذلك عن الحديث وما هو كالتفسير له عملا بما هو مقرر من ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام وتلك ضرورة دينية لا يخالف فيها إلا من لا حظ له في دين الإسلام(١).

وإن الله عز وجل أمرنا بالعمل بما جاء به الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ...﴾ [سورة الحشر:٧]، والرسول ﷺ أتاه الله بجانب القرآن الكريم بيان هذا القرآن وهو السنة

(١) أبو صير، المرجع السابق، ص ٤٤٩، ٤٥٠، عبد الغفار عزيز، أضواء على النظم والثقافة الإسلامية، ج١، بيروت، ص ٥٨؛ عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي ن دار العلم للملايين، بيروت، ص ٤٥٩؛ الشتيوي، المرجع السابق ن ص ٩٥.

النبوية التي تتمثل في قوله وعمله وصفاته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله"[١].

فإن السنة النبوية بمثابة المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم وهذا مصداق قول الله:

﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:٤٤] ، فمادام المرء قد أيقن بطاع الرسول بعد طاعة الله لزمه أن يقبل كل ما ورد عن رسول الله ﷺ لأن هذا يعتبر ثمرة الطاعة، وكل من قبل عن الله في كتابه قبل عن رسول الله ﷺ في سنته لأن الله عز وجل قد فرض طاعة رسوله ﷺ في سنته لأن الله عز وجل قد فرض طاعة رسول الله ﷺ على خلقه، وأمرهم أن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل. وسنة الرسول ﷺ إنما هي وحي من عند الله تعالى قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة النجم١ :٤] ، والعمل بالسنة انطلاقا من أمر الله بها قال سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ...﴾ [سورة النساء:٥٩] ، والقرآن الكريم بين بعض الأحكام وترك الباقي لبيان

(٢) أبو داود، السنن، باب لزوم السنة، جـ٤، ص ١٩٩.

الرسول ﷺ فبيانه للأحكام هو بيان للقرآن وتفصيل وبيان لما أجمله القرآن من صلاة وزكاة وحج وكل ما يتعلق بالمعاملات والعبادات[1].

ولما كانت مهمة الرسول الله ﷺ البلاغ والبيان، اهتم المسلمون بأوامره ونواهيه وحفظوا أقواله وأعماله وأحواله حتى تتم لهم الطاعة والأسوة والاقتداء، والسنة تتلو الكتاب لأنها مظنونة وهو قطعي في الجملة والتفصيل ولا تعتبر إلا بعده والعناية بها تلى العناية به فلا ينبغي للمرء أن يحدث إلا بعد قراءة القرآن وحفظ بعضه على الأقل، قال حفص ابن غياث: أتيت الأعمش فقلت حدثني قال: أتحفظ القرآن ثم جئته فاستقرأني فقرأته فحدثني.

ويأتي بيان السنة للقرآن على عدة أوجه منها:

أولا : أن السنة تأتي مؤكدة ومقررة لمعان وردت في القرآن الكريم.

ثانيا: أن السنة تأتي مفصلة لما جاء في القرآن الكريم.

ثالثا: أن السنة تأتي مفصلة لما جاء في القرآن الكريم.

رابعاً: أن السنة تأتي لتوضيح ما أشكل في القرآن الكريم.

خامساً: أن السنة قد تأتي مقيدة للمطلق في القرآن الكريم.

سادساً: أن السنة قد تأتي بأحكام ست عنها القرآن الكريم.

---

(١) انظر التفصيلات في: صالح أحمد رضا، ظاهرة خطيرة في رفض السنة النبوية في المجتمع الإسلامي، بيروت، ص ٥ – ٢٣.

ثالثا: سيرة السلف الصالح:

وفي سيرة سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان سوابق مهمة في أمور الدعوة يستفيد منها الدعاة إلى الله لأن السلف الصالح كانوا أعلم من غيرهم بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى الله ومازال العلم يستدلون بسيرتهم[1].

رابعا: استنباطات الفقهاء:

يعني الفقهاء باستنباط الأحكام الشرعية العلمية من أدلتها الشرعية ومن هذه الأحكام ما يتعلق بأمور الدعوة إلى أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والحسبة، وقد أفردوا لهذه الأحكام أبوابا خاصة في كتبهم الفقهية وما قرروه من اجتهادات في أمر الدعوة ومجالاتها وحكمة اجتهاداتهم الأخرى التي يجب اتباعها، فالوسائل والأساليب في الدعوة من أمور الدين مثل سائر العبادات والمعاملات.

صفات وآداب الداعية:

إن مهمة الداعية إلى الله من أشق المهام وأصعبها خاصة عندما تتمرد الجهالة ويكثر أدعياء المعرفة إلى جانب التسلط والطغيان على المؤمنين من قبل أعداء الدين، ولكن رغم هذه المشاق تكون الدعوة لازمة

---

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٣٩٩.

وضرورة من ضرورات الحياة ودعامة من دعائم التقدم والتطور رغم الصعاب التي قد تعترض المسيرة وماذاك إلا لأن الدعوة غرس للعمل الصالح دون من أو رياء حتى ينمو ويتفرع وتصبح ثماره دائبه القطوف بل تبقى دوحته مستمرة الإيتاء والعطاء كلما توفر التجرد وابتعد الغرض والهوى قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فُصِّلَت:٣٣] ، حيث أشارت الآية إلى ضرورة الربط بين الدعوة والعمل الصالح إذ لا معنى لقول بلا عمل، ولهذا كان قول العلامة ابن كثير[١]: أي وهو في نفسه مهتد فنفعه لنفسه ولغيره وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر وهذه عامة في كل من دعا إلى خير".

والداعية العالم المتجرد يكون أثره عظيما ونفعه عميما لأنه يعمل على توفير الاستقرار النفسي والروحي لأفراد الأمة فينصرف كل فرد من أفرادها إلى الجد والاجتهاد في عمارة الكون بحكم أنه خليفة اللّٰه في الأرض، ومن ثم نرى أن للدعوة إلى اللّٰه دورا كبيرا وأثرا فعالا في التربية بمفهومها الواسع منذ القدم فلقد اختلفت الوسائل وتعددت الأساليب وتفاوتت من عصر إلى عصر ولكنها في كل العصور تعني بالإنسان باعتباره الطاقة ذات التأثير الفعال في مجالات التنمية المختلفة

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٤، ص ١٠٠.

وباعتباره الهدف والغاية من العمليات التنموية فهو أداة التغيير هو الهدف من التغيير، ولكنه لن يكون فعالا ولن يكون قادرا على التغيير دون توجيه وتبصير بحيث يدعوه ذلك التوجيه إلى تغيير ما بنفسه ليتغير ما حوله[1]، قال تعالى: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ...﴾ [سورة الرعد:١١].

وعلى ذلك يجب على الداعية أن يتحلى بالصفات التي تؤثر في المدعوين وتكسبه ثقة وتأثيرا وتجعل منه القدوة الحسنة لهؤلاء المدعوين منها:-

أولا: الإيمان بالدعوة:

لأن الدعاة إلى الله هم ممثلو الرسل وورثة الأنبياء، والمعلوم أن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، والدعاة إلى الله هم سفراء الأمة المؤمنة إلى الناس يحملون أمانتها ويبلغون رسالتها والناس لهم تبع، لهذا كان لابد للداعية من الخلق الحسن الذي يجلب له الناس ويجمعهم على الخير ويكون لهم به قدوة حسنة وكان لابد للداعية من العلم ليفقه به الجاهل ويرشد به الضال.

---

(١) محمد حسين أبو سم، "الدعوة إلى الله بناء للإنسان بناء كاملا" مجلة الأمة، العدد ٤٨، سنة ١٤٠٤هـ، ص.

والإيمان هو الدافع المحرك للقوى الكامنة في نفس الإنسان، والإيمان الراسخ بأن الإسلام هو خاتم الأديان وإنه الدين الذي بعث به محمد ﷺ لإنقاذ العالم وتخليصه من التخبط في الظلمات، هذا الإيمان يدفع صاحبه بحماس منقطع النظير غلى أن يدعو الناس إلى الإسلام بثقة واطمئنان وأن يحثهم على اتباعه والتمسك بهديه والعمل الدائب الجاد لنصرته. أما الدعاة المحترفون والمتجردون من هذا الإيمان الذين اتخذوا الدعوة وسيلة للعيش الرغيد وسببا للرزق الوافر، وغاية ينتهون إليها للشهرة والزعامة، فهؤلاء كفئران السفينة لا يهمهم إلا بطونهم غرقت السفينة أم نجت، والفرق بين الصنفين واضح بين، فالصنف الأول يؤثر بأسلوبه المملوء بالإيمان وبطريقته المشحونة باليقين فيسير الناس تبعا لإرشاده ويسلكون السبيل الذي يسلكه، ويسخرون كل ما يملكون لنصرة الحق ونشره بين الناس. وأما الآخرون فكلامهم كالطبل الأجوف يرعب ولا يطرب ويقلق ولا يرشد لهذا فإنه يدخل من أحد الأذنين ليخرج من الأخرى فلا ينفعل به الناس ولا يكاد يصل إلى آذانهم حتى يتساقط تحت أقدامهم، ولهذا سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله "لماذا يجلس الناس إلى بعض الوعاظ والمرشدين فيتأثرون بهم ويبكون بين أيديهم تصل الكلمة إلى آذانهم، فتسلك طريقها إلى قلوبهم فتستقر فيها، وتترجمها جوارحهم عملا خيرا رشيدا يصدق ما في قلوبهم، فإذا جلسوا غلى آخرين وذكروهم بمثل ما ذكرهم به الأولون، وقد يكون الأسلوب

أجود والألفاظ أحلى والأداء مثيرا، ومع كل هذا فإنهم لا يتأثرون، ويقومون من مجلسهم وكأنهم لم يكونوا فيه؟ أجاب ابن المبارك السائل: ثكلتك أمك، النائحة المستأجرة كمن تبكي ولدها؟ ولهذا قالوا: ليست النائحة كالثكلى"[1].

ثانياً: القدوة الحسنة:

الإسلام قول وعمل، فلا ينبغي على الداعية أن يفصل بين القول والعمل حتى لا يكون سببا في انصراف الناس عنه، فالناس يتأثرون بالعمل أكثر من تأثرهم بالقول، كأن يحث الداعية الناس على أداء الصلوات في جماعة وهو لا يحافظ على أداء الصلاة في جماعة أو أي فعل من أفعال الخير[2]، وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يدعو إلى الخير ولا يعمل به في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ [سورة الصف:٣] ، وعلى الداعية أن يقتفي في سلوكه وحركته أثر رسول الله ﷺ في دعوته قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، لقد حدث بعد صلح الحديبية أن أمر أصحابه أن ينحروا هديهم ويحلقوا رءوسهم: "فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ: قوموا

---

(١) محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة، ص ٩٣ – ٩٥.
(٢) أحمد بن محمد طاحون، مرشد الدعاة إلى الله، مطبعة التقدم بجدة، ص ١٤، ١٥.

فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام رجل واحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة – رضي الله عنها – فذكر ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما".

ثالثاً: الإخلاص :

إن الإخلاص سمة من سمات المؤمنين الصادقين كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ...﴾ [سورة النساء:١٤٦] ، ولقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بالتخلق بهذا الخلق ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ ...﴾ [سورة البيِّنة:٥] ، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ...﴾ [سورة الزُّمَر:٣] ، ﴿... فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ...﴾ [سورة الكهف:١١٠] ، ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ...﴾ [سورة الأنعام:٥٢] ، والإخلاص هو سر نجاح أي عمل من الأعمال ولاسيما الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى يقول الإمام علي كرم الله وجهه: "لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن

النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: "اخلص العمل يجزك (أي يكفي منه القليل)"[1].

وإن الرياء محبط للعمل وعلامته كما قال الإمام علي كرم الله وجهه:

١- إذا كان وحده يكسل ٢- إذا كان في الناس ينشط

٣- يزيد في العمل إذا أثنى عليه ٤- ينقص من العمل إذا لم يثن عليه.

فليكن الداعي إلى الله شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق حتى تكون دعوته خالصة لله رب العالمين ويقول لنفسه دائما: ﴿...قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنعام:٩٠] ، وإذا أراد الداعية نجاحا لدعوته أن يبذل أقصى جهده وأن يثمر الإخلاص في نفسه أولا فيبذل للإسلام ولا يثري على حسابه[2].

وإن ضعف الإخلاص يعود إلى قلة المعرفة لله أو إلى سوء الظن به وإن كان ضعفاء الإخلاص لا يعترفون بشيء من هذا، ولعلهم يزعمون لأنفسهم معرفة لا تسبق ظنا لا يفضل[3]، ولكي يعتصم الداعية من هذه

---

(١) الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري، جـ١، باب ما جاء في الإخلاص والصدق، ص٢٣، ونسبه إلى الحاكم، وقال صحيح الإسناد.
(٢) الوكيل، المرجع السابق، ص ١١١.
(٣) الغزالي، مع الله، ص ٢٠٥.

اللوثات ويبرأ إلى الله من عقباها أرشده النبي ﷺ أن يتوجه إلى الله بهذا الدعاء: "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه"(١).

رابعاً: الحلم :

من الآداب التي يلتزم بها الداعية، وهو خصلة من الخصال التي يحبها الله ورسوله والحلم هو الصفح عن الذنوب وهو الصبر الذي يصاحبه هدوء في الطبع بحيث لا يعاقب أحدا، والداعية إذا لم يكن متحليا بهذا الخلق لا يستطيع أن يواجه المدعوين لأن بعض المدعوين يصدر ما يؤثر على النفوس ويغضب القلوب فمنهم الخلوق المهذب ومنهم الشرس العنيد، والحلم خلق من أخلاق الأنبياء أوصى به النبي ﷺ عندما مدح "أشج عبد القيس" لما فيه من الحلم والأناة فقال: "إن فيك لخلتين يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة "وليس المراد بالحلم السكوت على الهوان والاحتقار فإن المؤمن عزيز كريم يأبى الضيم ويرفض الذل وإنما يكون الحلم على جهل جاهل أو سفه سفيه، "فليس من العفو التسامح الموقوت الذي يحتجبه صاحبه السيئة في نفسه

---

(٤) أحمد في المسند، جـ٤، ص ٤٠٣.

لينتقم في وقت آخر"، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [سورة النساء:١٤٩] ، وقد حث الرسول ﷺ على ذلك فقال: "ابتغوا الرفعة عند الله، قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتحلم عمن جهل عليك"(١).

خامساً: الرحمة والرفق:

وعلى الداعي أن يعرف بوضوح إن رسالته للناس جميعا هي رسالة رحمة كما أخبرنا القرآن الكريم وهو يخاطب الرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧] رحمة في العقيدة والتشريع والأخلاق، فعلى الداعي الذي يدعو الناس أن يكون متخلقا بخلق الرحمة حتى يكون رحيما بالمدعوين لأن الرحمة صفة اتصف بها النبي ﷺ فيقول تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وأمره الله أن يتخلق بهذا الخلق في مخاطبته للناس فقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ...﴾ [سورة آل عمران:١٥٩] ، والرحمن لا تتحقق إلا بالحرص على من تدعو فلا تكن مبغضا لهم بل مشفقا عليهم ترى مالا يرون فتأخذ بنواصيهم إلى الخير ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

---

(١) السيوطي، الجامع الصغير، جذ، ص ٥ وعزاه لابن عدي.

والداعية حين تغشاه الرحمة ويتحلى بهذا الخلق يعمق في نفسه الإحساس بالتيسير على الناس والرفق بهم فربه الكريم لا يريد من الخلق إلا اليسر من الأمر ﴿... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...﴾ [سورة البقرة:١٨٥] ، لذلك قال رسول الله ﷺ: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا..."[١]، ومن الرحمة أن تختار أيسر الأمرين ولا تشدد على الناس فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الخلق عنه، ويذكرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك حينما اشتد أذى المشركين له فلم يزد على قوله: "اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله"[٢].

سادساً: التواضع:

والتواضع هو خفض الجناح والتودد للمؤمنين وهو ضد الكبر، والكبر صفة مذمومة ذمها الله ورسوله ﷺ ، والدعاة إلى الله من صفاتهم إنهم مجمعون غير منفرين ولهذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ...﴾ [سورة آل عمران:١٥٩] ، ويجب ألا يلتبس التواضع بالذل والخضوع فالمؤمن عزيز النفس وحرام عليه أن يذل نفسه لغير إخوانه المؤمنين قال تعالى: ﴿... أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ...﴾ [سورة المائدة:٥٤] ، والتواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار

(١) البخاري، كتاب الأدب، جـ١٠، ص ٥٤١.
(٢) البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في اسماء، جـ١٣، ص٣٨.

والتفافهم حولهم، ولقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التواضع حتى قال أنس رضي الله عنه "إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت" ولقد أوصى النبي ﷺ المؤمنين جميعا بالتواضع ولاسيما الدعاة فعنه ﷺ أنه قال: "أيها الناس إني أوحى إلي أن تواضعوا، ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد وكونوا عباد الله إخوانا"(١).

"وذلك لأن الكبر يزين للإنسان أنه أعظم قدرا وكمالا من سواه فيركن إلى هذا الاعتقاد ويدأب على تحقير من دونه ويزدريه ولهذا فإن المتكبر إذا علم استذل المتعلمين وانتهرهم وامتن عليهم وإن خالط الناس استجهلهم واستحقرهم وإن تولى عملا استأثر الخسارة، قال بعض السلف: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله بن ومن تواضع بعلمه رفعه الله به"(٢).

سابعاً: العفة والقناعة:

العفة فضيلة تقي الإنسان من أن يرتكب بيده أو بلسانه أو بشهواته مالا يحل له وربما تمنعه من الحلال إباء وأنفه، وتتمثل العفة في نزاهة النفس وأمانة اليد والأنفة من طلب الطعام أو المال مع شدة

---

(١) مسلم، جـ١٧، ص ٢٠٠.
(٢) عبد الحميد كشك، إلى فرسان المنابر، مكتبة الصحافة للطبع والتوزيع،ص ١٤٨،١٤٧.

الفقر والحاجة قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٧٣]. وفي الحديث عن النبي ﷺ "خير الصدقة عن ظهر غني، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول"(١).

فواجب الداعي نزاهة النفس عن شبه الكسب، والاكتفاء بالميسور عن ذل المطالب فإن شبه الكسب إثم، وكذا الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعز أليق به من الذل، وإذا ابتلى الداعية بعدم العفة أصبح ثقيلا عند الناس ولم يصبح لدعوته أثر في نفوس مدعويه.

كما ينبغي أن تلازم الداعي القناعة، فإذا ما فارقت هذه الصفة الداعية كان مفسدا لا مصلحا وضارا لا نافعا وما هكذا يكون الدعاة إلى الله تعالى، وإن التأسي برسول الله ﷺ في هذه الصفة لهو خير معين على القيام بواجب الدعوة، يقول عبد الله ابن مسعود: "دخلت على الرسول ﷺ وقد نام على حصير وقد أثر في جنبه الشريف، فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه، فقال ﷺ: "مالي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح

(١) مسلم، م٣، جـ٤، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ص١٢٥.

وتركها"[1]، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: "اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا"[2] أي لا يزيد على الحاجة.

ثامناً: العلم والاجتهاد في العبادة:

إن مما يجب على الداعي أن يحصله في مجال الدعوة أن يكون عالما بالقرآن وذلك بالنظر فيه قبل كل شيء وإلى كونه هدى وموعظة وعبرة وكذلك السنة وما صح من أقوال الرسول وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح وبالقدر الكافي من الأحكام وأسرار التشريع مع الصدق في نشرها، فإذا ما أراد إنسان أن يتصدى لهذه الوظيفة فينبغي عليه أن يكون عالما، فأما الجاهل فضال مضل وضره أقرب من نفعه وما يفسده أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا إذ لا يميز الجاهل الحق من الباطل ولا معرفة عنده ترشده إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس، قال الحسن البصري: "العامل على غير علم كالسائر على غير طريق والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح".

والعلم والفقه شرط في الأمر الناهي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا يكون عمله صالحا إن لم يكن بعلم وفقه" كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح،

---

(٢) ابن ماجة، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا... جـ٢، ص ١٣٧٦.
(٣) مسلم، كتاب الزهد، جـ١٨، دار إحياء التراث العربي، ص ١٠٥.

والقول بغير علم افتراء على الله وتكذيب لرسوله، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم"[1]، وقال أبو حامد الغزالي: "فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب، قال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر عن الصفا".

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فكان يقيم الليل كله حتى تنفطر قدماه وكان يصوم حتى يقال أنه لا يفطر، ويفطر حتى يقال أنه لا يصوم فالاجتهاد في الطاعات والتنافس في الخير من أبرز سمات الدعاة إلى الله حيث تكون الصلة وثيقة بينهم وبين بارئهم فالصلاة معراجهم إلى الله، والصوم جنة من النار والصدقة تطفئ غضب الرب.

تاسعاً: الشجاعة :

إنه مما ينبغي أن يتصف به الدعاة الشجاعة فهي خلق أصيل في الداعية إلى الله وشيمه لا تنفك عنه وهو يتقلب بين الناس. ومدد هذه الشجاعة الواجبة ونبعها الدافق أن حق الله لابد أن يسود وإن هداه

(١) كتاب الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري، جـ١، كتاب العلم، ص٥٧، ونسبه إلى ابن ماجه بإسناد حسن من طريق الحسن أيضا عن أبي هريرة.

لابد أن يعلو وإن منهجه لابد أن تتضح معالمه وترسو دعائمه، والأمة جمعاء مكلفة أن تكون شجاعة في حماية الدين ورد العادين على حدوده من المجان والفجار.

وقد وقف العلماء في وجه الخلفاء والأمراء لينصحوهم بشجاعة ويردوهم عن التمادي في الغي والضلال لا يخافون في الله لومة لائم ولا يبغون إلا وجه الله سبحانه ومن صور هذه الشجاعة أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

وحكى عن العز بن عبد السلام أنه أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه أخطأ فنادى في مصر على نفسه: من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فإنه أخطأ فيه وإرسال المفتي المنادين يشهرون بفتواه على هذا النحو خلق عجيب ودلالة على أمانة في العلم لا نظير لها.

وتنبعث هذه الشجاعة من امتلاك الإنسان نفسه وانطلاقه من قيود الرغبة والرهبة وارتضائه لونا من الحياة بعيدا عن ذل الطمع وشهوة التنعم، فكم من داع يعرف الحق قلبه ولا يستطيع النطق بلسانه خشية أن يمنع من مآرب دنيوية وتعتمد هذه الشجاعة على إيثار ما عند الله والاعتزاز بالعمل له وترجيح جنابه على جبروت الجبارين وعلى أعطية

المغدقين وأن يثق بقدرة الله إزاء أي وعد أو وعيد على أساس أن الرزق والأجل إلى الله وحده ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [سورة الأنعام:١٨] ، ولذلك قال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"(١).

عاشراً: الصبر وسعة الصدر:

ولا جدوى من كل الصفات السابقة للداعية إلا إذا تحلى بالصبر وسعة الصدر فالصبر أكثر خلق ذكر في القرآن الكريم فلا إيمان لمن لا صبر له وإن وجد فإيمان ضعيف وصاحبه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ...﴾ [سورة الحج:١١] ، وهناك فهم خاطئ بأن بعض الناس يزعمون أن الصبر سلوك سلبي ولكن الحقيقة أن الصبر سلوك إيجابي، فهل صبر النبي ﷺ على إيذاء قومه وسخريتهم منه كان سلبياً؟ بالطبع لا، فلقد قال ﷺ: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه"(٢).

فالصبر سمة من سمات أولى العزم من الرسل ولهذا أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على ما يناله من الأذى في سبيل الله فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ ...﴾ [سورة الأحقاف:٣٥] . وهذا ما ينبغي أن يكون عليه شأن

---

(١) أبو داود، السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب الأمر والنهي، جـ٤، ص ١٢٢.
(٢) السهيلي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، جـ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، ص٨.

الدعاة الذين يتصدون لدعوة الناس، وعلى الداعي أن يوقن بأن هذا الطريق ملئ بالأشواك وليس مفروشا بالورود والرياحين، وعلى الداعي ألا يضيق صدره بما يقول الأعداء من السفه والجهل ولا بما يدبرون من المكر والخديعة والكيد.. لأن الله مع المتقين بمعونته ونصره، ومع المحسنين بالحفظ والرعاية، ومن كان الله معه فلن يضره كيد الكائدين.

والمسلم إذن مطالب بأن يكون صبره لله ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [سورة المدَّثر:٧]، فإذا تحقق ذلك حصلت على ثناء الله لك وكنت ممن أثنى الله عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾ [سورة الرعد:٢٢] ، ولقد أقسم المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [سورة العصر:٢] ، فحكم المولى سبحانه على جميع الناس بالخسارة إلا من أتى بهذه الأمور الأربعة: الإيمان بالله – العمل الصالح – التواصي بالحق – التواصي بالصبر، لأن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا أكمل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح وكمل غيره بالنصح والإرشاد فيكون قد جمع بين حق الله وحق العباد، والتواصي بالصبر ضرورة لأن القيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ولابد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير والصبر على الأذى والمشقة والصبر على ما تبجج به الباطل، والصبر على

طول الطريق وبطء المراحل، وانطماس المعالم وبعد النهاية، فما أحوج الداعي إلى الصبر على هذا البلاء ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٣٤] فإن كان الصبر ضروريا لأي إنسان لاسيما المسلم فإنه بالنسبة للداعي أشد ضرورة له من غيره، والداعي يحتاج إلى قدر كبير من الصبر.

واجبات الداعية :

ومما يرتبط بهذه الصفات الحميدة التي يتحلى بها الداعية العديد من الواجبات التي يقوم بها الداعية لخدمة الدعوة الإسلامية منها:

أولاً: البعد عن المشاغل الجانبية:

إن الواجب الأساسي على الداعية هو الانشغال بالدعوة وانصراف همه إليها والبعد عن المشاغل الجانبية إذ ربما يكون هذا مدبرا من أعداء الإسلام فإذا لم يكن الداعية صارما حازما يرد خصومه إلى الهدف السامي ويجذبهم إلى الغاية الرفيعة رده الخصوم عن هدفه وصرفوه عن غايته فأغرب وأبعد واتسعت الهوة بينه وبين الدعوة، وقد حدث هذا في فجر الدعوة فلقد كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ أسئلة ليست من صميم الدعوة يقصدون من ورائها صرف الرسول عن

الحقيقة العظيمة التي جاء من أجلها كسؤالهم عن الروح والأهلة كما حكى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨٥] ، وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ... ﴾ [سورة البقرة:١٨٩] ، وربما يكون الانشغال عن الدعوة من قبل الأعداء من باب آخر كأن يرهبوهم وبأن يعدوهم بما سيحل عليهم فيشغلوهم عن الدعوة، وعلى الدعاة حينئذ ألا يلتفتوا إلى هذا التهديد ويجب ألا يرعبهم ذلك الوعيد وليعلموا أنهم في كنف الله عز وجل، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم أمثلة كثيرة من تهديد الأنبياء من قبل أقوامهم فها هو سيدنا موسى عليه السلام يهدده فرعون بالسجن ولم يصرفه ذلك عن الدعوة قال: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الشعراء٢٩ :٣٠] ، وكذلك سيدنا نوح عليه السلام يلجأ إلى ربه بعد أن بذل جهده في دعوة قومه ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء١١٧ :١١٨] ، ومن هذا المنطلق ينبغي على الداعية أن يتفرغ بكل جهده للدعوة وألا يشغل نفسه بأمور الحياة الدنيوية وما يجعله هينا في نظر الدعوين وينصرفون عن دعوته.

ثانياً: حب الخير للناس:

إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم من أهم ما يجعل القلوب تلتف حوله وتؤازره في القيام بمهمته، فإذا كانت دعوة الإسلام إلى عمل الخير للناس جميعها فإنها في حق الداعية أولى وأكد من غيره لأنها تجعل القلوب تلتف حوله وتبرهن عمليا على صدق ما يدعوهم إليه، إنطلاقاً من توجيهات الله تعالى في قوله: ﴿... فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ ...﴾ [سورة البقرة:١٤٨] .

ثالثاً: الترفع عن مجاراة السفهاء ومجادلاتهم:

والسفه هو الجهل وعدم الحلم ورداءة الخلق، والسفهاء هم أولئك الموصوفون بتلك الصفات، ولاشك أن أي عاقل يترفع عن مجاراة هؤلاء أو معارضتهم لأنه لو أراد ذلك لابد أن يعجز، وهؤلاء السفهاء موجودون في كل عصر لا يخلو منهم جيل من الأجيال لهذا حذر القرآن الكريم من مجاراتهم ومناقشتهم قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٩] ، فإن الإعراض عن سفاهة السفهاء يفرغ الداعية للمهام العظام التي تنتظره وتجعله يعطي ثمين وقته لدعوته ويمنح أتباعه كل ما يحتاجون إليه من العلم والتربية والتوجيه، وفوق ذلك تمكن الداعية من عرض دعوته على أولئك الذين يستحقون الاهتمام والتقدير. وهذا ما نلاحظه على تاريخ الأنبياء مع أقوامهم

حينما كانوا يواجهون بالسفه من قبلهم فكانوا يردون هذه الاتهامات بتوضيح أحقية رسالتهم ويبلغونها لهم عن الله تبارك وتعالى ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأعراف ٦٠ :٦١] ، وهكذا يكون موقف الدعاة من السفهاء يترفعون ويرغبون عن مجاوبتهم ويفرغون لتبليغ رسالات ربهم، قال تعالى: ﴿... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٦٣] ، وقال تعالى: ﴿... وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٧٢].

رابعاً: الاستمرار في الدعوة مهما كانت الظروف:

على الداعية أن يستمر في تبليغ دعوته وألا يصرفه أي صارف عن الدعوة، وألا يفتر عن دعوته لأن هذا يمكن العدو من استعادة قوته والتقاط أنفاسه، وهذا من دأب الرسل عليهم السلام فلقد كانوا لا يفتأون يلجون بالدعوة كل محيط ويقتحمون بها كل ميدان، وهاهو سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن يدعو الناس إلى عبادة الله، وعلى ذلك فمهما كانت ظروف الدعاة ومحنهم فالواجب عليهم تخطي هذه الظروف وهذه المحن والاستمرار في تبليغ الدعوة حتى يفتح الله بها قلوب المدعوين.

من واجبات الداعية النهي عن المنكر وقول الزور:

يقول الله تعالى: ﴿... وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ [سورة المجادلة:٢]، يخبر الله في هذه الآية أن المظاهر يدعى أن زوجته مثل أمه وهذا منكر لأنه ليس من الحقيقة في شيء، وزورا لأنه كذب فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور هو الكذب[1].

والمنكر في اللغة: هو بخلاف المعروف[2].

والزور في اللغة: شهادة الباطل وقول الكذب، ولم يشتق من تزوير الكلام، ولكنه اشتق من تزوير الصدر، والزور الكذب والباطل والتهمة وقد تكرر ذكر شهادة الزور في الحديث وهي من الكبائر فمنها قوله: عدلت شهادة الزور الشرك بالله، وإنما عادلته لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴾ [سورة الفرقان:٦٨]، ثم قال بعدها ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ...﴾ [سورة الفرقان:٧٢].

والمنكر في الشرع: هو كل ما أنكره الشرع ويشمل الحرام والمكروه وهذا يعني أنه يجب النهي عن المحرم ويندب النهي عن المكروه.

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، جـ١٨، دار الرشيد بسوريا، ص ٣٣٥.
(٢) لسان العرب لابن منظور، جـ٦، دار المعارف، ص ٤٥٣٨.

والهدف من وراء النهي عن المنكر هو رجاء ثواب الله تعالى والخوف من العقوبة على تركه والغضب لله أن تنتهك محارمه والنصيحة للمؤمنين والرحمة بهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة وإجلال تعظيم الله ومحبته.

والمنكرات معاول تهدم بناء المجتمع وتسلمه إلى دمار كيانه وتعرضه لخطر الخلل من القيم الإسلامية الأصيلة وتؤدي به إلى الفناء أو الضياع كما أن المنكرات تصرف الناس عن الخير وعن المثل العليا ومكارم الأخلاق، وهي إذا حلت في بعض الأفراد في المجتمع انتقلت وشاعت بحيث تفتك بالمجتمع كله.

وماذا تنتظر من مجتمع تنتهك فيه الأعراض أو تسلب فيه الأموال أو تضيع فيه الحقوق؟ ماذا تنتظر من مجتمع تنتشر فيه رذيلة الغش ومرض الرشوة وفساد الأمم؟ وهل يعقل أن يحيا هذا المجتمع وهو آمن على نفسه وماله وعرضه ودينه إذا كانت هذه الرذائل المشار إليها سابقا وغيرها تنتشر فيه كانتشار النار في الهشيم، لأجل هذا اعتنى الإسلام بمكافحة المنكرات للحفاظ على سلامة المجتمع وتوفير الأمن والأمان لكل أفراده.

وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد لا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة ٧٨ :٧٩]. ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو تقصرونه على الحق قصرا".

ولقد أصبح لزاما على كل مسلم تجاه هذه المنكرات التي فشت في المجتمع سواء كانت قولية أو فعلية أن يتجنبها وينهى عنها قدر استطاعته، فضلا عن الداعية الذي تحمل أمانه دعوة الناس على عاتقه أن يبين للناس هذه المنكرات وعاقبتها في الدنيا والآخرة، ويتمثل هذا البيان بالقول، والابتعاد بنفسه عنها حتى يكون قدوة حسنة لهم، وأن يتحرى الحقيقة في القول والابتعاد عن الكذب والبهتان.

دور الداعية في دعوة الحاكم لتحقيق واجبه نحو سماع شكوى الرعية:

إن حقوق الأمة واجبة وينبغي على الإمام القيام بها، وكذلك حقوق الإمام واجبة على الأمة فكل حق يقابله واجب لأنهما أي الحق والواجب وجهان لعملة واحدة يتخرج منها الكيان الإنساني بين الحاكم والمحكوم وحيث إن طاعة الإمام واجبة على العامة وجب مخاطبتهم بما يليق بهم وبما يناسب الوقت والحال.

وهذا انطلاقا من قول اللّٰه سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١]. وهنا يدعو اللّٰه الحاكم إلى الاهتمام بالمحكومين، واهتمام الداعي بالمدعوين، وذلك بالاستماع إلى حوائجهم والإنصات إلى قضاياهم وشكواهم تنفيذا لهذا التوجيه القرآني العظيم. فمن حق الأمة أن ترفع صوتها بالشكوى مما ينزل بها من أمور قد تضيق بها أو لا تفهم مغزاها، وعلى الحاكم ألا يوصد أبوابه في وجه أحد وعليه ألا يتخذ الحجاب الذين يحولون دون سماع صوت ذوي الحاجات.

فها هو الخليفة العادل "عمر بن الخطاب" أمير المؤمنين تصل به العدالة إلى سماع شكوى الرعية حتى ولو كانوا غير مسلمين ضد الولاة وتنفيذ أحكام العدالة في الولاة إنصافا لحقوق الرعية، ومن أمثلة ذلك

تحقيق سيدنا عمر مع عمرو بن العاص فيما فعله ابنه مع أحد المصريين إذ ضربه بالسوط على إثر سباق بين فرسيهما، وقال له "أنا ابن الأكرمين" واقتص له سيدنا عمر، وقال لعمرو كلمته المشهورة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

وذات يوم كان عمر بن الخطاب جالسا مع أصحابه فمر به رجل، فقال له: ويلك لك يا عمر من النار، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألا ضربته؟ وقال له رجل آخر: ألا سألته؟ فقال عمر: على بالرجل، ثم قال له: لم قلت ما قلت؟ قال: تستعمل العامل، وتشترط عليه شروطا، ولا تنظر في شروطه، قال عمر: وما ذاك؟ قال: عاملك على مصر، اشترطت عليه شروطا فترك ما أمرته به، وانتهك ما نهيته عنه، فبعث عمر برجلين، فقال: سلا عنه فإن كان كذب عليّ فأعلماني، وإن كان صدق فلا تملكاه من أمره شيئا حتى تأتياني به، فسألا عنه، فوجداه قد صدق عليه، فاستأذن الرجلان ببابه، واعلماه أنهما رسولا عمر إليه ليأتيه، فأتيا به عمر، فسلم عليه، فقال له عمر: من أنت ويلك؟ قال: عاملك على مصر، فقال له عمر: استعملتك وشرطت عليك شروطا فتركت ما أمرتك به، وانتهكت ما نهيتك عنه، أما والله لأعاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها – أي أشدد عليك وأوثر فيك بها.

ثم قال عمر: أيتوني بدراعة من كساء (أي جبة مشقوقة) وبعصا، وثلاثمائة شاه من شاء الصدقة، وقال له: البس هذه الدراعة وقد رأيت أباك، وهذه خير من دراعته، وهذه العصا خير من عصاه اذهب بهذه الشاء فارعها في مكان كذا وكذا – وذلك في يوم صائف – ولا تمنع السائل من ألبانها شيئا، والعم أنا آل عمر لم نصب من شاء الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئا، فمضى الرجل، ولمن أمعن في سيره رده وقال: أفهمت ما قلت لك، وردد عليه الكلام ثلاثا، فلما كان في الثالثة ضرب الرجل بنفسه الأرض بين يديه، وقال: ما أستطيع ذلك، فإن شئت فاضرب عنقي... قال عمر: فإن رددتك إلى عملك فأي رجل تكون؟ قال: لا ترى إلا ما تحب، فرده فكان خير عامل"[(١)].

ومن الحق والواجب تنشأ المسئولية على الجميع حكاما ومحكومين ومما هو من حقوق العامة سماع الحاكم لشكواهم وما يعن لهم من أمور دينهم وشئون حياتهم فعندما يستعصى على العامة إدراك النص وجب على الإمام بيان ما غمض على العامة، ولأن التشريع في صدر الإسلام كان من الله ورسوله ويكون ذلك بالعدل من رسول الله، وبالأكثر عدالة من الله سبحانه وتعالى، ولقد قضى رسول الله بالعدل في الأمر من الشاكية في قوله: "ما أراك إلا قد حرمت عليه"، وهنا لابد من الأكثر

(١) الشيخ محمد محمد المدني، نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤، ص١٨٠، ١٨١.

عدالة أن يعدل حكم العدل ليكون فيما يقضي به مصلحة الأمة في عمومها لذا كان سمع الله مع رسوله ﷺ ومع المرأة الشاكية حتى يثبت أمرا شرعيا منه سبحانه يعدل به عدالة رسول الله ﷺ بما يناسب عدالة ومصلحة الأمة.

وبما أن الداعية مكلف من قبل الله بتبليغ شرعه إلى خلقه وجب عليه أن يستمع إلى شكوى الشاكين وسؤال السائلين ليبين لهم ما غمض عليهم من أمر الدعوة وفهم القرآن والسنة وإلا فلا معنى للدعوى ولا قيمة للداعي حيث إنه يفقد ماهية رسالته التي أنيط بتوصيلها إلى العامة حيث إنه مستخلف للدعوة وحسب. وبما أن الداعي وكيل عن الحاكم في إبلاغ الدعوة فقد وجبت عليه بلاغا إلى الناس، ويكون دور الداعية مقصورا على دعوته حيث إن النظام الحديث في مجال السياسة والحكم قد قام بتوزيع التكليفات حتى يخفف من الأعباء فإن الداعية مكلف إذا وجد من المدعوين ما يخالفون به نصوص الشرع أن يبلغ من له حق الضبطية وحفظ الأمن العام وذلك درءاً للفتن وإبعادا للأمة عن الشتات والفرقة.

وسائل الدعوة :

معنى الوسيلة:

"الوسيلة في اللغة ما يتوصل به إل الشيء[1]، وفي مفهوم الدعوة والمشتغلين بها من الدعاة هي ما يتوصل بها إلى هداية الناس ودعوتهم إلى الخير ولذلك عرفها بعض المشتغلين بالدعوة فقال: "الوسائل عمليات الاتصال الفردي والجماعي التي تتم بين الداعية ومجتمعه من أجل تبليغ الإسلام ونشره، وذلك بناء على ما تم بين النبي وأصحابه أو بينهم وبين غيرهم من البشر من أجل تبليغ الدعوة وعليه فالوسيلة في مفهوم الدعوة: هي ما يتوصل به في نقل الدعوة من الداعي إلى المدعو للوصول إلى الهدف الأعلى وهو تبليغ الدعوة"[2].

وتتمثل وسائل الدعوة في:

أولاً وثانياً: القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثاً: الخطابة: من أهم الوسائل لنشر الدعوة في كل عصر وزمان: الخطبة وتخص بها: الخطابة الدينية التي ارتفع بها الإسلام حتى جعلها شعيرة من شعائره وهذا ما يحدث في يوم الجمعة وفي العيدين وفي وقفة عرفات، ولقد كانت الخطابة أول وسيلة اتخذها الرسول عليه الصلاة

(١) لسان العرب، مادة "وسل".

(٢) الشتيوي، الدعوى الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، ص ٨٥، ٨٦.

والسلام لنشر الدعوة بعد أن أمره الله بالجهر بها في قوله: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [سورة الحِجر: ٩٤] .

واهتم الإسلام بالخطابة واعتبرها وسيلة من أهم وسائل الدعوة حتى أصبحت مظهر الحياة المتحركة فيه فهي التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ويثب من فكر إلى فكر وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ومع المكان من قطر إلى قطر ولو عرف الدعاة قدر الخطابة ومدى تأثيرها على النفوس ما لجأوا إلى هذه الخطابة الميتة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

والخطابة الإسلامية حقا هي التي تأخذ من القرآن وتسير معه، وكان رسول الله ﷺ أحيانا يخطب بسورة ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ [سورة ق:١]، وكان عمر أحيانا يخطب بسورة النحل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ...﴾ [سورة النحل:١] ، ويقول الشيخ الكبير محمد الغزالي للنهوض بأمر الخطابة: "وإذا أردنا أن ننهض بالخطابة التي تصلح من شأن الفرد والمجتمع فينبغي أن نختار الخطيب الخبير بالحياة وعللها المكين في الوحي الأعلى يأخذ منه بلباقة ما يشفى علل الناس ويصلح بالهم وما يتألف به نافرهم ويسكن ثائرهم، وما يدحض به نزعات الإلحاد ويحبط كيد الشيطان، وما ترق به القلوب القاسية وتنفرج به الأسارير المنقبضة وما يشعر الناس بعد الانصراف عنه أنهم فقراء إلى الله،

محتاجون إليه، وموضوع الخطبة هي الحياة الدنيا والآخرة، وإذا تطرق الخطيب لموضوعات دنيوية فلا يخلي خطبته من معاني القرآن والسنة وهدي السلف الصالح". وقد كان المسجد ولا يزال من أهم الوسائل في نشر الدعوة إلى الله قبل اختراع أجهزة الإعلام في العصر الحديث ولئن كان هذا دور المسجد في صدر الإسلام فإن دوره في العصر الحديث لا يقل أهمية عن دوره في الماضي.

رابعاً: الترغيب والترهيب:

ولأن الترغيب هو الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله فعلى الداعية أن يسلك هذا الطريق مع المدعوين في تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى حتى يفوزوا بالسعادة في الدنيا والنعيم بالآخرة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ...﴾ [سورة النساء:٥٨] ، وما جاء على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾﴾ [سورة نوح١٠ :١١] ، والمثال الحي على النعيم في الآخرة ما جاء على لسان "جعفر الطيار" وهو يخوض غمرات الموت والشهادة يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها.

والترهيب هو التحذير والتخويف للمدعوين من مخالفة أمر الله وارتكاب الذنوب والآثام والتجبر خشية وقوعهم تحت طائلة عقاب الله في الدنيا وعذابه بإدخالهم النار في الآخرة، ويأتي هذا عن طريق الحث على فعل الخير واجتناب الشر، والقرآن الكريم يورد لنا الكثير من الآيات الدالة على هذا الترهيب وعقاب الله في الدنيا والآخرة، فيقول تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [سورة النساء:٩]، ويقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ...﴾ [سورة سبأ ١٥ :١٦]، وقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[سورة النحل:١١٢] ، ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة هود:٣٢] ، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة المزمل:١٧] وفي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة [1].

(١) البخاري، جـ٣، ص ٣٣٢.

خامسا: التبليغ:

إن التبليغ بكافة جوانبه يعد وسيلة ذات أثر عظيم في الدعوة إلى عباد الله تعالى، وقد سلكها رسل الله جميعا في تبليغ رسالاتهم، ويوضح لنا القرآن الكريم هذه المعاني فهو قول رب العالمين نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ ليكون به التبليغ قال تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ...﴾ [سورة التوبة:٦] ، ويقول تعالى مخاطبا رسوله وآمرا له أن يقول للناس: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يونس:١٠٨]، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]. وكذلك أمر الله رسله أجمعين بتبليغ أقوامهم رسالة ربهم بالقول المبين قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ ...﴾ [سورة المؤمنون:٢٣] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأعراف:١٠٤]، فلا يجوز للداعي أن يغفل مكانة القول في تبليغ الدعوة ولا أثر الكلمة الطيبة في النفوس، فالتبليغ بكافة وسائله وسيلة أصيلة في إيصال الحق للناس، ويجب أن يكون هذا التبليغ واضحا لدى المستمع كما هو

واضح لدى المتكلم لهذا أرسل الله رسله بلسان مبين فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ...﴾ [سورة إبراهيم:٤]،وقال:﴿...فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة النحل:٣٥] ، وفي الحديث الشريف عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا أي بينا ظاهرا يفهمه كل من يسمعه".

ويجب على الداعي أن يتأنى في كلامه ولا يسرع حتى يستوعب السامع لقوله جاء في الحديث الذي رواه البخاري: "أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه"(1). وعلى الداعي أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف في لفظه جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: "هلك المتنطعون قالها ثلاثا"(2)، والتنطع في الكلام التفاصح فيه والتعمق فيه، وفي حديث آخر: "إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"(3).

وعلى الداعي أن يراعى حالة دعوته أن يكون متخلقا بخلق التواضع مبتعدا عن أسلوب الاستعلاء، وعليه أيضا يتلطف بالقول فيستعمل في كلامه وخطابه ما يثير رغبة المدعو إلى السماع ويقمع فيه نوازع الجهل

(١) البخاري، في كتاب العلم، باب من أعاد الحديث، جـ١، ١٨٨.
(٢) مسلم، جـ١٦، ص ٢٢٠.
(٣) مسلم، جـ١٦، ص ٢١٩.

والنفور، فيقول الله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ ...﴾ [سورة مريم:٤٢] ، فذكر إبراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه رابطة الأبوة التي من شأنها أن تجعل الإبن حريصا على مصلحة الأب وتجعل الأب جديرا بأن يصغى إلى خطاب ابنه. وفي السنة ذكر ابن هشام في سيرته: "أن النبي ﷺ أتى إلى بطن من بطون كلب في منازلهم يقال لهم "بنو عبد الله" فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى أنه كان يقول لهم: يا بني عبد الله إن الله عزوجل قد أحسن اسم أبيكم، أي فأحسنوا الإجابة واقبلوا الدعوة وآمنوا بالله ورسوله".

أساليب الدعوة :

ويجدر بنا توضيح الأسلوب أو المنهج الأمثل في الدعوة إلى الله تعالى وهو كما أوضحته الآية الكريمة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥] .

أولا: الدعوة إلى الله بالحكمة:

إن الحكمة في إطلاق اللغويين تطلق على العدل، والحلم، والنبوة، وما يمنع من الجهل وما يمنع من الفساد بوضع الشيء في موضعه وكل كلام موافق للحق، وصواب الأمر وسداده ومعرفة أفضل الأشياء

بأفضل العلوم والقرآن والإنجيل، على أن الحكمة تطلق على ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل، والحكمة مأخوذه من الحكمة - بفتح الكاف والميم - وهو ما يوضع للدابة كي يذللها راكبها فيمنع جماحها، ومنها اشتقت الحكمة قالوا: لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل، والحكمة في حقيقتها وضع الأشياء في مواضعها". قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ... ﴾ [سورة آل عمران:٨١].

والحكمة من العطايا التي يمنحها الله عز وجل لرسله وأصفيائه، قال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة ص:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ...﴾ [سورة لقمان:١٢]،وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾ [سورة النساء:٥٤]، وهذا ما ينبغي أن يسلكه الداعية بعد تقوى الله سبحانه حتى تثمر دعوته لأن رسول الله ﷺ سلك هذا المنهج من قبل كما أمره الله سبحانه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥].

والمراد من الحكمة معرفة الأشياء التي جاء بها الشرع وهي تدل على علم دقيق محكم وتعليمها كمال علمي والقضاء بها كمال عملي، والمقصود من الحكمة في الدعوة هي ملاحظة الداعي للواقع الخارجي

للمجتمع الذي يعيش فيه ودراسة ظروفه العقلية والنفسية والاجتماعية ووضع كل ذلك في حسابه قبل بداية العمل فالداعية إلى الله رجل حكيم يضع لكل داء دواء ولكل مقام مقال لا يسوى بين العالم والجاهل، ولا بين الحاضر والبادي إنه صاحب القول السديد والتصرف الرشيد والكلمة الزاجرة والعظة النافعة.

وكذلك مراعاة مقام المدعو واختيار الأسلوب المناسب له كما مع الأبوين والحكام ولغير المسلم أسلوب غير أسلوب المؤمن وللعنيد المجادل أسلوب يناسبه كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ [سورة العنكبوت:٤٦] . جاء رجل إلى النبي ﷺ يطلب الترخيص في الزنا وصاح الناس به فهداهم رسول الله ﷺ ثم دعاه فدنا منه وأخذ يحاوره ليصلح من فكره المنحرف حتى أقر الرجل أنه لا يرضاه لأمه ولا لبنته ولا لإحدى قريباته، فقال رسول الله ﷺ: وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم وبناتهم، فانصرف من عنده وقلبه راض وعقله مقتنع".

ومن الحكمة في الدعوة أيضا التنازل عن موقف المعتقد بأحقية دعوته وبطلان دعوى الطرف الآخر إلى موقف الذي يبحث عن الحق وينشده والذي لا يستطيع أن يؤكد هل هو على هدى أو غيره ليصل النقاش إلى مداه والحديث إلى نهايته ولإثارة الشك في أعماق الخصم

وتمزيق الهالة التي تحيط بمعتقداته وجعلها شيئا قابلا للانتقاد والرد وبذلك يتهيأ نفسيا للدخول في الدعوة والاستماع إليها بهدوء والتنازل عن طبيعة العناد والتعصب وفتح منافذ المعرفة الحقة الواعية وتقبل التعاليم بروح حيادية.

وهاهو نموذج من دعوة الرسول ﷺ وأسلوبه الحكيم الذي واجه به عتبه ابن ربيعة "لما عرض على رسول الله ما أرادت قريش فما ناقشه رسول الله ﷺ ولا جادله فيها ولكنه قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: أسمع مني" وتلا عليه جزءا من سورة فصلت، فلما سمعها عتبه أنصت لها حتى انتهى رسول اله ﷺ وقام عتبة وقد تغيرت معالم وجدانه وتقاسيم وجهه وقال فيه قومه لما رأوه من بعيد، "نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به".

ثانيا: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة:

الموعظة الحسنة طريقة في التبليغ وأسلوب في الدعوة يحببهم إلى الناس ويقربهم منها وييسرها ويشعر المخاطب أن دور الداعية معه دور الناصح له الرفيق به الباحث عما ينفعه ويدخله إلى قلبه برفق ويعمق مشاعره بلطف وهو يزين له الخير ويرغبه في فعله، وهذا ما سلكه أنبياء الله عليهم السلام في دعواتهم إلى أقوامهم، لقد قص الله سبحانه

وتعالى علينا مسلك سيدنا موسى وهارون حينما أرسلهما اللّٰه إلى فرعون فحصنهما الله بهذا المنهج: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [سورة طه:٤٤]،ويسلك شعيب عليه السلام مع قومه سبيل الموعظة الحسنة ويستثير عوامل الخير فيهم فيقول لهم: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ...﴾ [سورة هود:٨٦] ، ويقول تعالى: ﴿...إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾ [سورة هود:٨٤] ، والموعظة الحسنة تخاطب في الإنسان القلب.

والموعظة كما جاء في لسان العرب، جاءت من: وعظ وعظا وعظة وموعظة أي ذكره بما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ وقيل هي: النصح والتذكير بالعواقب سواء أكان بالاستمالة والترغيب أم بالزجر والترهيب، والمقصود من الموعظة غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه، ومن الوعظ الحسن إلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير.

وهناك صورا من مواعظ القرآن الكريم منها:

أولا: المواعظ التعليمية: ﴿...ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾ [سورة البقرة:٢٣٢].

ثانيا: المواعظ التأديبية: ﴿...وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ...﴾ [سورة النساء:٣٤] .

ثالثاً: المواعد التي جاءت على هيئة وصايا: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة لقمان:١٣] .

ومن مواعظ النبي ﷺ ، ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"، وكانت أول موعظة للنبي بالمدينة المنورة قال ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد..." أيها الناس فقدموا لأنفسكم: تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئًا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإنها تجزي الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

ثالثا: الدعوة إلى الله بالمجادلة بالتي هي أحسن:

والجدل في اللغة: يقال جدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما فالجدل شدة الفتل والأصل منه "جدل" والجدل والجدْل "الذكر الشديد وقصب اليدين والساقين، وكل عضو وعظم لا يكسر والجدل بالتحريك اللدد في الخصومة والقدرة عليها، والمجادلة...

المناظرة والمخاصمة ومنه سورة المجادلة. قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...﴾ [سورة المجادلة:١] ، والجدل في الاصطلاح يعني: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو بقصد تصحيح كلامه قال: وهو الخصومة في الحقيقة، غير أن الذي نعنيه هنا هو الجدال والمحاجة والحوار بما لا يرقى إلى الخصومة... إلا إذا اعتبرنا الجدال مع الظالمين خصومة... لأنه قد تجرد منه نعمت الحسن، وإذا احتاج رجل الدعوة إلى الجدال فليكن بالتي هي أحسن.

والجدل نوعان: جدل ممدوح، وجدل مذموم، فالجدل المذموم ما كان بمعنى العناد في الخصومة لا لطلب الحق بل مجادلة بالباطل وقد ذم الله هذا النوع خاصة ما كان بين الأقوام لرسلهم قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ [سورة غافر:٤] ، وقال تعالى : ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ...﴾ [سورة الأنفال:٦] أما الجدل الممدوح فيراد به المناقشة لإظهار الحق وهذا المعنى من أسمى الفضائل الإنسانية، وقد مدح الله هذا النوع وأمر رسوله ﷺ به قال تعالى: ﴿... وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥] ، وقال: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"، والمجادلة بالتي هي أحسن اقتضت من الدعاة إلى الله عز وجل التزام الدقة في العرض والصواب في الرأي ويقظة العقل والضمير حتى لا يضن الدعاة بالبيان عن طلب الحقيقة وهي تقتضي كذلك ألا يقصد الدعاة الإفحام وإنما الإقناع والإيضاح لأن ذلك أقرب لاستجابة

المدعوين وأدنى لهدايتهم إلى الطريق الذي به تصلح أمور الناس وتستقيم.

كما اقتضت المجادلة بالتي هي أحسن من الدعاة البحث عن نقاط الوفاق والالتقاء بينهم وبين من يدعونهم للالتقاء عليها والوقوف عندها والانطلاق منها إلى بقية التفاصيل تجنبا للتركيز على مواطن الخلاف والنزاع في بدء الطريق، والمجادلة بالتي هي أحسن هي الطريقة التي يواجه بها الداعية رد فعل الدعوة لدى المخاطبين نتيجة اختلاف أفكارهم عما جاءتهم به من عقيدة وسلوك وغير ذلك، وهي الطريقة العملية للوصول إلى تحرير العقول من الرواسب التي ورثت عن الآباء والأجداد لأنها لا تجرح الكرامة ولا تشعر المخاطب بأنه مغلوب، وتصور الداعية إلى الله بالناصح الأمين والمدعو يقابل النصح والتوجيه ليواصلا معا السير على الطريق الصحيح، والداعية لا يتخلى عن مسلك الدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهو في ذلك ملتزم بما وجهه غليه القرآن من الجدل والحوار، وتبادل الآراء ولا يتجاوز في ذلك كله الدائرة التي تحدد موضوع الدعوة إلى الحق، وهذا المنهج من المجادلة يكون حتى مع أولئك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والإصرار عليه، وإن كان مثلهم لا يجادل ولا يتبادل معه الرأي في شأن الحق الذي جحدوه قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ [سورة العنكبوت:٤٦] ،وقد أخبر

القرآن الكريم أن الرسل عليهم السلام قد جادلوا بالحسنى قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة هود:٣٢].

والداعية إلى الله محتاج إلى السلام الفكري والموضوعية في مجادلته بالتي هي أحسن وليس من مصلحته دعوته مواجهة التحدي بالعواطف الفارغة والخطب الرنانة الخالية من المحتوى والمضمون الفكري العميق، ومنهج الرسل فيه مقارعة الحجة بالحجة ومقابلة الفكرة بالفكرة.

ويقص علينا القرآن الكريم الكثير من نماذج المجادلة بالتي هي أحسن منها: جدل سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه الذي صورته تلك الآيات القرآنية قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [سورة مريم:٤١]،وكذلك جدال الكفار للرسول ﷺ فقد جادله الكفار والمعاندون في أمور كثيرة فقد جادلوه في أمر البعث والحياة الآخرة وما فيها من حساب وجنه ونار، وسأله "أبي بن خلف" عن قدرة الله في إحياء العظام بعد بلاءها، فرد عليه السلام قائلا له: نعم ويبعثك ويدخلك النار" ونزل قول الله في ذلك: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ...﴾ [سورة يس:٧٨] ، ومحاجة القرآن للنصارى وخاصة في أمر المباهلة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النحل:٤٠] .

الفصل الثاني

المنهج الدعوي في توثيق علاقة المسلم بربه وبمجتمعه من خلال السورة

لقد جاء الإسلام بمنهج دعوى فريد ربط المسلم بربه وبمجتمعه، وأقام هذا الرباط على أسس عقائدية، وشعائر عبادية، ومعاملات أخلاقية قد لا يوجد لها مثيل في أي دين آخر سماوي أو أرضي فبالنسبة لتوثيق علاقة المسلم بربه، أقام هذه العلاقة على العقيدة، لأن العقيدة الصحيحة لها دورها الفعال، وأثرها القوي في تسيير دقة الحياة، والاتجاه بها نحو مجتمع أفضل، وحياة أقوم، وهي تمثل خصائص المسلم العليا، لأنها تمتزج بعنصره الروحي، وبهذه الخصائص يرتفع المسلم كإنسان عن مستوى الحيوانية، وإذا ما تبوأت مكانتها في النفوس،وتجاوبت مع الفطرة الصحيحة، فإنها ترتفع بالإنسانية إلى وجودها الأسمى، وكمالها المطلق فتصنع غدا مشرقا، وتدفع بالحياة إلى طريقها الصحيح الذي يريده الله تعالى، ومن ثم كانت عناية المنهج الدعوي بتوثيق علاقة المسلم بربه عن طريق غرس هذه العقيدة فيه.

أما بالنسبة لتوثيق علاقة المسلم بمجتمعه، فالمنهج الذي أسس هذه العلاقة هو منهج إسلامي، ودين اجتماعي بمعنى كلمة الاجتماع، وهو مدني بطبعه وروحه، وفي أصوله لبنات قوية لبناء الأسرة وتكون الأمم، وفي تعاليمه عمد تشيد عليها المجتمعات القوية، فقد أفاض المنهج الدعوي على المعاملات أشعة من روحه وسبغها بمسحة خاصة وألبسها لباس التقوى، ومزجها بالعقيدة الطاهرة، وجعلها جزءاً من الدين، فالدين المعاملة حتى تجرى المعاملات على صراط سوي بين المسلم وأخيه المسلم.

ومن أجل ذلك كان اهتمامنا بهذا الباب الذي جاء تحت عنوان "المنهج الدعوي في توثيق علاقة المسلم بربه وبمجتمعه من خلال السورة.

لقد جاءت سور كثيرة في القرآن الكريم، تدور حول توثيق علاقة المسلم بربه وتثبيت هذه العلاقة في النفوس، وتعميقها في القلوب، متخذة الأساليب المتنوعة والتراكيب المختلفة التي تؤدي إلى دوامها وثباتها، وهذه السور هي السور المكية، وقد اشتملت على معظم القرآن الكريم لأنها تستهدف بناء المجتمع الإسلامي على أسس قوية وعقيدة صحيحة.

ومن بين هذه السور أيضاً سور مدنية كسورة المجادلة التي نحن بصدد الحديث عنها، فقد تضمنت هذه السورة الحديث عن قضايا عقائدية، منوطة بتوثيق علاقة المسلم بربه، كقضايا قرب الله تعالى من عبده وسماعه مناجاته، وقضايا الغيب وقضايا الولاية لله تعالى، وقضايا البعث، وقد علل الله عز وجل لتشريعه أحكام الظهار بقوله تعالى: ﴿... ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾ [سورة المجادلة:٤] ، ومن هذا نفهم أن التشريعات الإسلامية كلها تنبثق عن الإيمان بالله والرسول وقبولها علاقة الإيمان بالله والرسول، والالتزام بها يعمق الإيمان بالله والرسول، وهذا يعرفنا حكمة من حكم مجئ هذا الموضوع في مقدمة السورة التي تتحدث عن محاربة الله والرسول، وبعد السورة التي أمرت بالإيمان بالله والرسول ﷺ.

التعريف اللغوي للإسلام:

هو "إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سيدنا محمد ﷺ به يحقن الدم"(١).

التعريف الشرعي للإسلام :

ويعرف الإمام الراغب الأصفهاني الإسلام في الشرع بأنه على ضربين أحدهما: أنه فوق الإيمان: وهو أن يكون مع الاعتراف، اعتقاد

---

(١) لسان العرب لابن منظور، جـ ١٥، ص ١٨٦.

بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة:١٣١] ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ...﴾ [سورة آل عمران:١٩] وقوله تعالى: ﴿...تَوَفَّنِى مُسْلِمًا ...﴾ [سورة يوسف:١٠١] أي اجعلني ممن استسلم لرضاك، ويجوز أن يكون معناه اجعلني سالما عن أسر الشيطان حيث قال: ﴿...وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحِجر٣٩ :٤٠] ، وقوله تعالى: ﴿... إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة النمل:٨١] أي منقادون للحق مذعنون له، وقوله تعالى: ﴿... يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ [سورة المائدة:٤٤] ، أي الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولي العزم لأن أولي العزم "من الرسل" الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع، وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل"(١)، وهو الذي تذكره الآية الشريفة دون الإيمان وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ ...﴾ [سورة الحُجُرات:١٤] ، فالمسلم معناه "المخلص لله في عبادته من قولهم سلم الشيء لفلان خلص له فالإسلام معناه إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى"(٢).

---

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص ٤٩٣.
(٢) الفخر الرازي، جـ٢، المطبعة الخيرية سنة ١٣١٨هـ، ص ٤٢٣.

وهذا التعريف يرتبط مع المعنى اللغوي ارتباطا وثيقا، وسواء نظر الإنسان إلى المعنى الشرعي أو المعنى اللغوي فإنه يجد أن هذا اللفظ جامع شامل لكل صلاح منشود في توثيق علاقة المسلم بربه "فكلمة الإسلام لا تدل على زمان ولا مكان فهي لا تشير إلى زمن تتقيد به، ولا إلى مكان يحدها"، وتضعنا هذه الكلمة مباشرة في جو عالمي مطلق، بل في جو عالمي يتخطى حدود هذا العالم الأرضي – إذا أمكن ذلك – فلا يتقيد به ولا يتحدد بحدوده"[1].

فالإسلام لابد أن يكون صفة راسخة في نفس المسلم حتى تتوثق علاقته بربه ولا يكتمل هذا الإسلام إلا إذا طبق المسلم أركانه التي جاءت في حديث سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ. لذلك كان لابد من التعرض لأركان الإسلام والوقوف على أثر هذه الأركان في توثيق علاقة المسلم بربه.

أركان الإسلام :

لقد جاء حديث سيدنا جبريل موضحا أركان الإسلام وأركان الإيمان فجاءه في سؤاله رسول الله ﷺ عن الإسلام فأخبر النبي ﷺ بأن الإسلام يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله وإقامة

(١) عبد الحليم محمود، الإسلام والإيمان، الطبعة الثانية، دار النصر للطباعة.

الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام فأما عن الركن الأول أن لا إله إلا الله:

"إن الشهادة تعني العلم والإعلام والأخبار والبيان ولهذا سمى الشاهد شاهدا لأنه يخبر بما علم وتتضمن كلمة الشهادة الإقرار والاعتراف والاعتقاد فإن الشاهد يعتقد صحة ما يشهد به ويخبر عنه فإذا شهد مالا يعتقده كان شهادة كاذبة لأن اختياره لا يطابق اعتقاده... فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أني أعلم وأقر وأعترف وأعتقد بأن المعبود الحق الذي يستحق العبادة هو الله سبحانه وتعالى وأن أبين ذلك وأظهره بلساني وأفعالي وسلوكي.

وهذا ما يسمى بتوحيد الألوهية وهو إقرار الله تعالى بالعبادة وحده، وهناك نوع هو توحيد الربوبية ومعناه هو "الاعتقاد بأن الله وحده هو رب كل شيء ومليكه لأن الرب تعني السيد والمالك والمدير المتصرف والمتكفل بمصلحة الإنسان وهذه المعاني لا يملكها ولا يتصف بها غير الله سبحانه، أما غيره فهو مربوب الله سبحانه".

دلالة توحيد الربوبية:

إن توحيد الربوبية له دلالات كثيرة فما من شيء في هذا الكون من أصغره إلى أكبره، إلا وهو يشهد بربوبية الله للعالمين وبالتالي فهذا الإله الحق للعالمين ولا يمكن لهذا الكون العجيب وهذه المخلوقات الكثيرة أن

تكون سائرة ومخلوقة نتيجة الصدفة فعلى المسلم أن يكون مقرا ومعترفا اعترافا راسخا بربوبيته للخالق سبحانه وتعالى وانفراده بالعبودية، فهذا إقرار جبلت عليه البشرية وفطرت عليه قال تعالى مخبرا عن جواب الكفار عن معرفتهم بهذه الربوبية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الزُّخرُف:٨٧] .

معنى شهادة أن لا إله إلا الله:

إن معنى شهادة أن لا إله إلا الله هي شهادة المسلم أن لا معبود له إلا الله فكأنه أيقن: "أن لا مطمئن إليه ولا مستجار منه ولا محبوب ولا معبود ولا مالك ولا مطاع ولا معظم ولا معتصم به ولا سيد ولا حاكم إلا الله" وعلى هذا فشهادة الإنسان أن لا إله إلا الله لا تعتبر إلا باجتماع هذه المعاني.

١- مشاهدة أن لا إله إلا الله بالعقل والقلب.

٢- الشهادة على هذا باللسان.

٣- أن تكون الشهادة جازمة لا تردد فيها، فيها جزم على ما يحلف عليه فمن لم يشهد بلسانه أنه لا إله إلا الله عنادا وكبرا فهو كافر، ومن لم يشهد عقله وقلبه أن لا إله إلا الله أو كان مترددا في ذلك فهو منافق إن نطق بالشهادتين بلسانه وكافر إن لم ينطق". وعلى هذا فإنكار هذه الشهادة أو جحودها من بعض

٤- البشر مكابرة ولا يعني ذلك خلو فطرتهم من الإحساس العميق بوجود الخالق سبحانه وتعالى.

الشطر الثاني من الركن الأول:

شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ :

إن الشطر الثاني من الركن الأول هو الإقرار والاعتراف بنبوة محمد ﷺ فلا يتم إسلام المرء إلا بالإتيان بها، فهي المكملة والمتممة لهذا الركن، فقد قرن الله تعالى طاعة رسوله ﷺ بطاعته تعالى، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ...﴾ [سورة النور:٥٤] ، بل جعل طاعة رسوله ﷺ طاعة له تعالى فقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ...﴾ [سورة النساء:٨٠] ، وبعد أن ظهر الدليل القاطع على نبوة سيدنا محمد ﷺ فإن إنكار نبوته أو عدم الاعتراف والإقرار بالشهادة له، كفر ونقص في العقل وجحود ما بعده جحود، قال تعالى مخبرا عن سعة رحمته وحيثيات هذه الرحمة ﴿...وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ...﴾ [سورة الأعراف١٥٦ :١٥٧] .

أهمية كل من الشهادتين بالنسبة للأخرى:

إن كلا من الشهادتين متمم للآخر ومكمل له ومقترن به، ونجد ذلك في الإعلان بها عند الدخول في الإسلام، والإعلام بها عند الآذان، والإعلان بها عند قراءة التشهد في الصلاة، بل يتوقف عليها نجاة المرء عند موته، وفي سؤال قبره: "وإن هاتين الشهادتين لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، إن شهادة أن لا إله إلا الله تتممها شهادة أن محمداً رسول الله، إذ أن شهادة أن لا إله إلا الله كما سنرى وتقتضي سلوكا معينا ومعاني معينة، ولها حقوق وعلى صاحبها واجبات، ولصاحبها جزاؤه وعلى تاركها عقابه، وهذا لن يعرف إلا بواسطة الرسول الذي قامت كل الأدلة الصحيحة المعقولة، والمنقولة على أنه رسول الله حقا، لذلك كان التلازم كاملا بين شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، ويتضح هذا أكثر إذا عرفنا معنى "أشهد أن لا إله إلا الله".

أهمية الشهادتين بالنسبة للإسلام:

إن للشهادتين أهمية كبيرة بالنسبة لتوثيق علاقة المسلم بربه "فإذا كان الإسلام لا يقوم بلا أركان، فإن الإسلام وأركانه الأربعة لا يقوم بلا شهادتين بل لا يكون موجودا أصلا فالشهادتان بالنسبة للإسلام كله، كالروح بالنسبة للجسد، فكما أن كل ذرة من ذرات الجسد لا تكون بها حياة إلا بالروح، فكذلك "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هي حياة كل

جزء من أجزاء الإسلام فأي عمل يعمله الإنسان من الإسلام لا يكون نابعا من هذا الأصل يعتبر ميتا وهو في ميزان الله معدوم ولذلك فإن الكافرين لا قيمة لأعمالهم عند الله ولو كانت صالحة، لأنها ميتة يقول الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الفرقان:٢٣] وحتى المسلم إذا عمل عملا مهما كان صالحا ولم يكن عمله فيه روح الشهادتين فإنه يكون غير مقبول".

قال ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1]،وقال تعالى مادحا رسوله ﷺ ﴿...وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ...﴾ [سورة الفتح:٢٦] .

نواقض الشهادتين :

إن النطق بالشهادتين ركن أساسي من أركان الإسلام "فمن أخل بواحدة منهما كفر ومن لم يعمل بمقتضاهما كفر كأن نطق بشهادة أن لا إله وأنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة"[2] وهناك أدلة من حياة الصحابة رضوان الله عليهم وذلك مثل ما صنعه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في محاربة المرتدين بعد موت رسول الله ﷺ ، ومن هذه النواقض التي تهدم عرى الإسلام وتنقض الشهادتين:

---

(١) البخاري، جـ١، كتاب الإيمان، ص ٣٢٥٠.

(٢) محمد قطب، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الشروق، ص ١٤٣.

أ ـ التحليل والتحريم من دون الله :

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة:٥٠] ، ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات التي يضعونها بأهوائهم وآرائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم..."(١) فإذا الذين يشرعون بغير ما أنزل الله تعالى قد نقضوا لا إله إلا الله، لأنهم جعلوا من أنفسهم أندادا لله تعالى فأخذوا يشرعون يحللون ويحرمون ويخالفون ما أحاله الله أو ما حرمه تعالى.

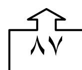
ب – الرضا مع العلم بتشريع مخالف لما أنزل الله ناقض أيضا:

إن كان المحللون لما حرمه الله، والمحرمون لما أحل الله تعالى قد نقضوا بصنيعهم هذا "لا إله إلا الله" فإن الرضا – أيضاً – بأن تشريع يخالف شريعة الله ناقض للا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ ...﴾ [سورة النساء:٦٠] ، وقال ﷺ: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون..."(٢) وقال أيضا ﷺ: "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون..."(١).

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٢، ٦٥ وما بعدها.

(٢) قال (ﷺ) "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم غنها تختلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده



(فالذين يرضون هذا الصنيع، ويتبعونه قد جعلوا من هؤلاء المشرعين أندادا لله فنقضوا بذلك لا إله إلا الله، التي تقضي بأنه لا أنداد له سبحانه، ولا شركاء، وكأنهم قالوا: لقد قال الله، وقال هؤلاء غير ما قال الله، ونحن ارتضينا ما قاله هؤلاء من دون الله، وقد حكم الله فأحل وحرم، وحكم هؤلاء فحرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وقد أرضينا نحن حكمهم واتبعناه)[٢].

جـ- اعتناق مذهب من المذاهب التي تبعد الدين عن الحياة:

إن هناك مذاهب كثيرة تدور على الساحة، وهذه المذاهب تهدم ولا تبني، وتفسد ولا تصلح وتعادي الإسلام وتحول بين المسلم وبين توثيق علاقته بربه، والإسلام بريء كل البراءة من هذه المذاهب الهدامة، كالشيوعية، والاشتراكية، والقومية، والعلمانية وغيرها من هذه المذاهب التي يعتنقها – للأسف – بعض المسلمين الذين وقعوا في حبائل هذه المذاهب، وأصبحوا يدعون باسمها، وينشرونها، ويدافعون عنها، ومعظم هذه المذاهب تدعو إلى هدم الدين، فمنها ما يدعو إلى فصل الدين عن

فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل". رواه مسلم.

(٣) قال (ﷺ) "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع" رواه مسلم.

(٤) محمد قطب، لا إله إلا الله، ص ١٤٧.

الدولـة (لا سياسـة في الـدين ولا ديـن في السياسـة) والإسـلام ينكـر أمثـال هـذه الأفكـار قـال تعـالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [سورة الأنعام:١٦٣] .

د ـ الموالاة لأعداء الله ناقض أيضا :

إن المـوالاة لأعـداء اللّه تعـالى مـن النـواقض التي تمنـع توثيـق علاقـة المسلم بربه، يقول الشيخ محمد قطب: "إن المودة في معناها الميل القلبي، والتناصـر والمحبـة، وهـذه صـفة لا ينبغـي أن تكـون لأعـداء اللّه قـال سـبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ...﴾ [سـورة المجادلة:٢٢] . إنما هي للمـؤمنين قـال سبحـانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [سورة التوبـة:٧١] . أمـا الـولاء القلبي لغير اللّه فغير جـائز لأنـه ينقض لا إلـه إلا اللّه، ولأنه يذوب الحاجز النفسي الذي يفصل المؤمن عن أعداءه فيميل إلـيهم، ويصـبح مثلـهم قـال تعـالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾ [سورة النسـاء:١٣٩] . هذا في ولاء القلب فكيف بالتعاون معهم لا على البر والتقوى ولكن على

حرب الإسلام والمسلمين.

وقضية الولاء قضية هامة لأنها توثق علاقة المسلم بربه لذلك كان لابد من التعرض لها تفصيلا، خاصة وسورة المجادلة تتحدث عنها بإفاضة، ثم نعقب بعد ذلك بالحديث عن شريحة المنافقين لأن هذه الشريحة على نقيض الولاء لله تعالى.

الركن الثاني: الصلاة :

ذكر الله تعالى الصلاة في كثير من آياته، وحث على إقامتها وتأديتها كاملة الأركان والشروط، ووضح النبي ﷺ كيفيتها فقال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[1]، فمكانة الصلاة في الإسلام مكانة كبيرة فهي الركن الثاني من أركان الإسلام وبتأديتها كاملة الأركان والشروط، وبكل الإخلاص يكون المسلم قد وثق علاقته بربه، حيث إن الصلاة تمثل القرب من الله تعالى قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ (١٩)﴾ [سورة العلق:١٩] .

أثر الصلاة في توثيق علاقة المسلم بربه:

فليس هناك شك في أن الصلاة تمثل العبودية الحقيقية، بما تزود الإنسان من الشعور بالخضوع لله وهي تعتبر اللقاء المتجدد مع الله، فالصلاة تجعل المؤمن دائما يستشعر عناية الله تعالى في كل أمره،

(١) البخاري، كتاب الآذان، باب الآذان للمسافر إذا كانوا جماعة، جـ٣، ص١٤.

وعون الله تعالى في كل سبيل، فمنه تكون النصرة والعون، وفي سبيل رضاه تستعذب الآلام، وبه تتحقق العزة، والمسلم يجد في كنف الله الراحة، والطمأنينة، ومن ثم كانت الوسيلة لتثبت قلب النبي ﷺ ضد محاولات أعداء الله تعالى، يقول تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء٧٨ :٧٩] .

وقد خص الله سبحانه وتعالى ذكر صلاة الفجر والتهجد لما لهما من أهمية في تربية الفرد وتوثيق علاقته بربه حيث إن هذا الوقت هو بداية يوم جديد عندما يفتتح بالقرآن الكريم والصلاة فيملأ نفس الفرد بالحركة والهمة والنشاط فقد امتلأ قلبه بنور آيات القرآن الكريم، والتهجد من العبادات التي تترك أثرا في الفرد، يحفزه إلى صلاح نهاره بين العباد كما صلح ليله بين يدي رب العباد.

الركن الثالث: الصيام وأثره في توثيق علاقة المسلم بربه:

إن الصوم له مكانته الكبيرة في توثيق علاقة المسلم بربه، فهو عمل سري بين العبد وربه، فهو يهذب المسلم، ويربي فيه ملكة المراقبة لله سبحانه وتعالى، لأن أمر الصيام موكول إلى نفس الصائم، لا رقيب عليه إلا الله فإذا ما روض المسلم نفسه على الصيام شهراً كاملاً، فإنه بذلك يوثق العلاقة بينه وبين ربه، ويتعود المراقبة في كل عمل يقبل

عليه، والإخلاص في كل عمل دنيوي أو أخروي، وبذلك يكون مسلما صالحا في مجتمعه، مصلحا لنفسه ولمن حوله، لذلك ذكر الله تعالى غاية الصيام بقوله سبحانه: ﴿...لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٣] ، فالتقوى غاية فإذا ما بلغها المسلم كان بذلك تقيا نقيا وروعا محسنا لغيره، مخلصا في عبادة ربه، فروح الصيام مراقبة الله فيه ولذلك يقول ﷺ: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا..."[١] والصيام أيضا يعتبر هو الوقاية للمسلم من أي معصية لأنه يكسر حدة الشهوة قال ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء..."[٢]، ومن ثمرات الصيام أيضا التي توثق علاقة المسلم بربه، أن المسلم يتعود العطف على الفقراء والمساكين، لأنه في حالة جوعه وظمئه يتذكر من لا يملك طعاما لنفسه أو لأهل بيته في عموم أوقاته. لذلك ورد عن النبي ﷺ: "أنه كان أجود الناس.."[٣]، ومن ثمرات الصيام بالنسبة للمسلم في توثيق علاقته بربه أنه يغرس فيه صفة المساواة وعدم التميز على الغير فالصيام بمراقبته درسا عمليا للمساواة فالكل في وقت واحد يبتدئ الصيام لا فرق بين غني وفقير أو قوي وضعيف أو رئيس أو مرءوس، لا

(١) البخاري، بحاشية السندي، جـ١، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان...، ص١٦.
(١) البخاري، بحاشية السندي، جـ٣، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة...، ص٢٣٨.
(٢) البخاري، في الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، فتح الباري، جـ ٤، ص ١١٦.

فرق بين رجل وامرأة فالكل يشعر أثناء الصيام بالجوع والعطش، والكل في وقت واحد يفطر، فكل هذه الدروس، دروس عملية للمسلم لكي يعلم مدى المساواة في الشريعة الإسلامية.

الصوم الذي يريده الله:

دأب الناس في تعريفهم للصوم على أنه الامتناع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس (والواقع أن هذا بيان للصوم بالنسبة إلى مظهره، وإلى الجانب السلبي منه فقط، فكلا الأمرين: المظهر والجانب السلبي لا يكونان حقيقة الصوم الذي كلف الله به عباده وفرضه عليهم، وهذا ما نلمحه من بداية هذه الآية ونهايتها فالله بدأها بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٨٣]

الركن الرابع: الزكاة وأثرها في توثيق علاقة المسلم بربه:

إن الزكاة لها الأثر الطيب في توثيق علاقة المسلم بربه فالمسلم على يقين بأن ما استخلفه الله عليه من المال، إنما هو لهدف الإعمار في الأرض، والقيام على هذا المال بحسب ما فرض الله عليه، فهو يؤدي

زكاته تزكية وتطهيرا لنفسه ولماله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس٩ :١٠] ، وهو على يقين بما فرضه الله عليه في هذا المال للفقراء والمساكين قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ [سورة المعارج٢٤ :٢٥] ، فالزكاة تجرد المسلم من عبودية المال، فالذي يبخل بالعطاء، ويشح على الفقراء، ويكنز ماله، يعتبره الرسول ﷺ عبدا لماله: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم..."[(١)]، والقرآن الكريم ينهي عن كنز المال فيقول تعالى: ﴿...وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤﴾ [سورة التوبة:٣٤] .

وبذلك يسمو المسلم بنفسه عن عبودية المال، لتكون عبوديته خالصة من هذه الشوائب وبذلك توثق العلاقة بينه وبين ربه تعالى.

الركن الخامس: الحج وأثره في توثيق علاقة المسلم بربه :

إن الحج له من الآثار العظيمة في توثيق علاقة المسلم بربه، فهو عبادة مالية بدنية، ويغلب عليها الروحانية وقد جعل الإسلام للحج وقتا محدودا وزمنا معينا والإسلام في ذلك (له اعتباران قويان جديران بالتقدير والرعاية، وذلك لما لهما من أثر في استدامة التقويم الخلقي،

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، جـ١٢، ص٣٦.

والتصفية الروحية التي حصل عليها المسلم بالصيام والقيام في شهر رمضان، وأول هذين الاعتبارين أن شوال أول شهر من أشهر الحج وثانيهما أنه يشير بالأشهر الحرم (ذي القعدة وذي الحجة والمحرم)، وقد عني القرآن الكريم بأشهر الحج عناية بالحج كما عنى بالأشهر الحرم عنايته بتطهير النفس من المظالم وكف العدوان والبغي".

نظرات عامة في الحج:

١ – الحج مجموعة رموز مرتبطة بأعمال: إن الحج رمز لاستسلام الإنسان لله إذا بلغه أمر الله بواسطة رسوله ﷺ إذ ينفذ المسلم الأمر بصرف النظر عن المعنى العملي لهذا الأمر (وما الطواف، والوقوف، والسعي، والحلق، والتقصير) وغيرها من أعمال الحج إلا رمز استسلام المسلم لأمر الله دون نقاش، وهو رمز ارتباط هذه الأمة بأبيها إبراهيم عليه السلام حيث نحى شعائره وطوافه بالبيت.

٢ – الحج مظهر عملي: فهو المظهر العملي للأخوة الإسلامية لأنه يحث الإنسان بشكل عملي على أنه أخ لكل مسلم في العالم قال تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ [سورة الحُجُرات:١٣] .

٣ – الحج مدرسة: يرتفع بها المسلم إلى آفاق أرقى وأعلى يتعلم بذل الجهد مع البر.

٤ – الحج يحيى في النفس الإنسانية مشاعر كثيرة: يحيى فيه مشاعر العطف على المسلمين والانتصار لمسائلهم، ومشاعر الجيل الإسلامي الأول الذي عاش هنا، وحياة الاضطهاد، من أجل العقيدة التي عاناها ومشاعر الولاء لله وللرسول وللمؤمنين، ومشاعر التوجه الخالص لله ومشاعر التجرد من الدنيا والإقبال على الآخرة ومشاعر العزم على فتح صفحة جديدة مع الله.

٥ – وفي كل فعل من أفعال الحج عظات ومعاني.

٦ – والحج عودة بالمسلمين إلى مراكز المسلمين الأولى[1]: فالحج من العبادات التي تؤكد وتوثق علاقة المسلم بربه، فالإحرام في الحج ما هو إلا تجرد من شهوات النفس والهوى وبعدها عن كل ما سوى الله، فلا تفكير لها إلا في جلاله، وما التلبية أيضا إلا شهادة على النفس بهذا التجرد وهذا الالتزام المطلق، والامتثال لأمر الله

(١) سعيد حوي، الإسلام، ص ١٥١ – ١٦١.

وكذلك الطواف يكون بدوران القلب حول قدسية الله عز وجل فيجعل صاحبه متعلقا بالله ناسيا كل ما سوى الله، والسعي أيضا بعد الطواف هو تردد بين جنبات رحمة الله طلبا لمغفرته ورضوانه وضراعة لله من القلب المملوء بالخشية وتعلقا به سبحانه وهو بين الرجاء والخوف وكذلك كل مناسك الحج ما هي إلا توثيق لعلاقة المسلم بربه تعالى.

أثر الإيمان في توثيق علاقة المسلم بربه :

الإيمان يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه، ذلك أن أشرف ما في الأرض الإنسان وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أجل نعمة،وأفضل آلاء الله على الإطلاق ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ... ﴾ [سورة الحُجُرات:١٧] ويقول تعالى أيضا: ﴿... وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ... ﴾ [سورة الحُجُرات٧ :٨] .

والإيمان ليس مجرد النطق باللسان، واعتقادا بالجنان، إنما هو عقيدة تملأ القلب، وتصدر عنها آثارها كما تصدر عن الشمس أشعتها،

وكما يصدر عن الورد شذاه.

وللإيمان أركان ستة لا يتحقق إلا بها، وفقدان واحد منها فقدان للإثمان من أساسه ولهذا ينبغي لكل من أراد أن يكون مؤمنا حقا الإحاطة بها، وبناء النفس والجسم، والفرد والمجتمع على أساسها، وقد بين الرسول ﷺ هذه الأركان في حديث طويل فيه "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

والإيمان يؤدي إلى سعادة النفس وطمأنينتها، وذلك لا يتوافر على الدوام إلا بالإيمان، فالإيمان هو تصديق القلب وجزمه بوجود إله مدبر حكيم، كل ما يقع في ملكه بحكمته وإرادته[1]، ويقول تعالى في ذلك ليقضي بالحق: ﴿... وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف:٤٩] .

ويجعل الشيخ سيد سابق آثار الإيمان في النقاط التالية[2]:

١- تحرر النفس من سيطرة الغير: يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ [سورة الأعراف:١٨٨] .

٢- الإيمان يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام والاستشهاد من أجل الحق، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ...﴾ [سورة آل عمران:١٤٥] .

(١) محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، دار الوفاء، ص ١٤٣.
(٢) السيد سابق، العقائد الإسلامية ن دار الكتب الحديثة، ص ٧٥ – ٨٠.

٣- والإيمان يقتضي الاعتقاد بأن الله هو الرزاق، يقول تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [سورة هود:٦] .

٤- والطمأنينة أثر من آثار الإيمان، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سورة الرعد:٢٨] .

٥- والإيمان يرفع من قوى الإنسان المعنوية، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ...﴾ [سورة يونس:٩] .

٦- والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة، يقول تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة النحل:٩٧].

الإيمان بالغيب: ويشمل الإيمان بالملائكة واليوم الآخر، ويقول الله تعالى في وصفهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [سورة عبس ١١ :١٦].وعن اليوم الآخر

يقـــول الله تعـــالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ســـورة الأنبياء:٤٧] .

الإيمان بالوحي: ويقـول الله تعـالى في الـوحي الـذي يوحيـه للرسـل علـيهم الســـلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ... ﴾ [سورة الشورى:٥٢] .

الإيمان بالرسل: يقول الله تعالى في ذلك: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ ... ﴾ [سورة آل عمران:٨٤] .

الإيمان بالبعث: يقـول تعـالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة المؤمنون١٥ :١٦] .

الإيمان بالقدر: وهـو تصديق القلـب بـأن كـل مـا يحـدث للإنسـان في حياتـه إنمـا هـو بتقـدير الله عـز وجـل وهـذا الإيمـان يقتضـي أن يعتقـد المؤمن أن ما قدر لـه لابـد مـن حصـوله، ولا يمكـن لشيء أن يدفعـه إذا أراد الله وقوعه، وإيماننـا بحكـم الله تعـالى يجعلنـا نثـق بـأن كـل مـا ينـزل بـالإنسـان إنمـا هـو خـير، ولـو كـان في ظـاهره شـرا، فيقـول تعـــالى: ﴿ ... وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢١٦] .

الولاء يوثق علاقة المسلم بربه: إن قضية الولاء قضية هامة تعرضت لها سورة "المجادلة" في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ...﴾ [سورة المجادلة:٢٢] .

الولاء لغة: جاء في لسان العرب [١] الموالاة: بأن يتشاجر إثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه، ووالى فلان فلانا: إذا أحبه، والولاية – بالفتح – في النسب والنصرة والعتق، والموالاة – بالضم – من وإلى القوم، قال الشافعي في قوله ﷺ: "من كنت مولاه فعلى مولاه، يعني بذلك ولاء الإسلام"[٢]، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [سورة محمد:١١] ، والموالاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة مريم:٤٥] ، وينقسم الولاء إلى ثلاثة أقسم:

الولاء لله تعالى وللرسول ﷺ: الولاء لله يكون بتجريد الطاعة والانقياد المطلق لله سبحانه بحيث تتوجه إلى الله تعالى معا في مشاعر الإنسان وجوارحه وخلجات نفسه وكل ما يملك أي أن الولاء لله

(١) لسان العرب لابن منظور، جـ٣، ص ٩٨٥ – ٩٨٦.
(٢) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، جـ٥، ص ٥٩١، وقال حديث حسن صحيح.

يكون بإسلام الوجه لله سبحانه بالقصد والنية والطاعة والعمل اقتداء بمن نزل عليه، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ...﴾ [سورة الأنعام ١٦٢ :١٦٣] ، وإن الولاء لله محض الحب له: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...﴾ [سورة آل عمران:٣١] .

تعريف البراء الذي هو عكس الولاء: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الأعذار والإنذار[١].

الولاء للمؤمنين: وانطلاقا من الولاء لله وللرسول يكون الولاء للمؤمنين ومعناه جلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم، والوقوف معهم في حالة السراء والضراء يهمه ما يهمهم ويغمه ما يغمهم حتى يكونوا كما وصفهم الله﴿... كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [سورة الصف:٤] ، وكما وصفهم الرسول ﷺ "كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٢]

لماذا يعطي الإنسان الولاء والمحبة لله :

يعطي الإنسان ولاءه ومحبته لله لأنه يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء، ويستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه الخالق الأوحد للكون

---

(٣) محمد بن سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، الرياض، ص٩٢.
(١) مسلم، م ٦، جـ١٦، باب النهي عن السباب، ص ١٤٠.

والحياة والإنسان، يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لما أسبغ على الإنسان من نعم ظاهرة وباطنة، يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لأن هذا الكون كله مسخر لمصلحة الإنسان، يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لما أنزل على البشرية من أنظمة حكم ومناهج حياة، يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لإجابته المضطر إذا دعاه وكشفه الضر والسوء عنه، يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لافتقار العبد إليه واعتماده في كل الأحوال عليه، قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ...﴾ [سورة إبراهيم:٣٢] وقال سبحانه في سورة النمل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ...﴾ [سورة النمل:٥٩] ، فإن لم يكن المؤمن على هذا المستوى اللائق من المحبة لله والولاء له والافتقار إليه والتوكل عليه والاستعانة به والشكران لأنعمه وفضائله فيكون كاذبا في دعوى المحبة ناقضاً عرى الإيمان.

لماذا يعطي الإنسان ولاءه ومحبه للرسول ﷺ:

يستأهل الرسول ﷺ هذه المحبة وهذا الولاء لكونه عليه الصلاة والسلام الشخصية الكاملة المعصومة عن الخطأ والمنزهة عن العصيان، يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكون سنته ﷺ هي في المرتبة الثانية بعد كتاب الله عز وجل، يستاهل هذه المحبة وهذا الولاء لكون طاعته ﷺ هي طاعة لله يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه أدى الأمانة، وبلغ

الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أقام في الجزيرة العربية دعوة الإسلام، يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه السراج المنير للعوالم والرحمة المهداة للبشرية وصدق الله العظيم في محكم تنزيله ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٢١] .

فإذا كان الولاء لله تعالى يوثق العلاقة بين العبد وربه فإن الولاء لأعداء الله ينقض عرى الإيمان بالله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾ [سورة المجادلة:٢٢] . وقد حذر القرآن الكريم من إضعاف الشخصية المسلمة بموالاة الأعداء الذين لا يؤمنون بالله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ...﴾ [سورة آل عمران:١١٨] ، وبقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة المائدة:٥١] ، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ...﴾ [سورة التوبة:٢٣] ، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ... ﴾ [سورة الممتحنة:١] .

مظاهر الولاء لله تعالى :

١ - الإيمان بالله: وهو الإيمان به إيماناً كاملاً بأنه إله واحد خالق قادر ليس كمثله شيء في صفاته وكماله وجلاله: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١] ، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ...﴾ [سورة الأنبياء:٢٢] .

٢ - طاعته سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦].

٣ - توقير دينه واحترام شرعه: وهو توقير واحترام وطاعة لهذا الشرع الشريف منبعثا من النفس عن اختيار واقتناع عقلي وطمأنينة قلب.

٤ - الاستسلام المطلق لله والتوكل عليه ﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ...﴾ [سورة الطلاق:٣] ، ويقول تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ...﴾ [سورة الفرقان:٥٨].

٥ - شكر الله على نعمائه وعطائه: ﴿... وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ...﴾ [سورة الزُّمَر:٧] ، ويقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النحل:٧٨].

٦ – الإقبـــال عليـــه ســـبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الرعد:٢٨] .

المراقبة والمحاسبة وآثارهما في توثيق علاقة المسلم بربه:

إن مــن الصــفات الــتي توثــق علاقــة المسـلم بربـه صـفتي المراقبـة والمحاسبة وقد جاءت في سورة المجادلة آيات تحث على مراقبة المسلم بربـه ومحاسـبته ومـن هـذه الآيـات قـول الله تعـالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة:٧] ، "أَلَمۡ تَرَ " بقلبك وعقلك" أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ " برؤيتــك لدقــة نظــام الســموات والأرض ودقــة مــا يجــرى في السموات والأرض، فمن رأى بقلبه أفعال الله علم أن الله يعلم ما في الســموات ومــا في الأرض" مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ " أي مــا يقــع مــن تناجي ثلاثة نفر "إِلَّا هُوَ "أي الله" رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ "أي ولا أقـل" أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ " يعلـم مـا يتنـاجون بـه، ولا يخفـى عليه ما هم فيه "أَيۡنَ مَا كَانُواْ " أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم

ونجواهم، والملائكة أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله وسمعه له "ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فيجازيهم عليه "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" قال الإمام أحمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم[1].

والإحسان مرتبة تشرف العامل والعمل لأنه أعظم مراتب التشريف الذي تجاوز به العبد مراتب العمل التكليفي المحض وذلك بزيادة في الفعل من جنس ما فرضه الله على العبد، وعندما يتحقق في عبد انتقاله بالتكليف إلى مراتب التشريف يكون قد علم العبد أن نفعه فيما فرض الله عليه، ويكون ذلك كمن فرض على نفسه قيام الليل بالصلاة، فإنه علم الصلاح في عين الفرض فزاد عليه بالإحسان وعلم أن الله يسمعه فقام بصلاح القول وهو تلاوة القرآن وعلم أن الله يراه فلم تكسل جوارحه بل نشطت إلى طاعة بارئها، ومن هنا ينشأ يقين العبد في أن الله يسمعه ويراه فقد تبصر وأصبح ذا بصيرة.

وعندما يسمو العقل بالتبصر ويسمو القلب بالبصيرة فإنه ينتقل من جانب الأداء الحركي للفرائض إلى جانب الأداء الاستسلامي قلبا وجوارحا فلا ينشغل العقل والقلب إلا بعين التكليف، وبهذا فقد أحسن تبصرة وأحسن بصيرة وأحسن قوله لمن يسمعه وأحسن عمله لمن يراه،

---

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، م١٠، ط٤، دار السلام، ١٩٩١، ص ٥٧٨٨.

إذا فقد وصل إلى مرتبة الإحسان، وهي التي وصفها النبي ﷺ بقوله: "وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1].

وهي قضية علمية بحتة.. فإنها تنشأ في علم العبد بدوام مراقبة الله له ووجوب مراقبته لنفسه كي لا تخرج عن مجال استحضار وجود الله السميع البصير، وإذا كان الإسلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي الإسلام والإيمان والإحسان، فإن الإحسان يشمل الثلاثة... فعلى العبد أن يحسن الإيمان وإحسان الإيمان إطلاق وحدانية الله وإحسان الإسلام هو فعل التكليف الشرعي على صور ثابتة من الله ورسوله وإحسان الإحسان هو أن تعلم أن الله يراقبك فيما تنطق وتعمل ليجازيك به، وذلك لقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ...﴾ [سورة الرعد:٣٣] ، ويقول النبي ﷺ في وصيته لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك"[2].

ومن هنا نرى أن الإحسان منقسم في ذاته إلى العلم والمراقبة، لأنه لا يتحقق أي مقام في الإسلام بغير علم، وترى من ذلك أن أفضل ما يلزم به العبد نفسه هو دوام مراقبة الله على علم يقيني "فعن مالك ابن دينار... جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة... قيل له... ومن يسكنها؟ قال.... يقول الله عز وجل... وإنما

---

(١) الترمذي، في كتاب صفة القيامة، جـ٤، ص ٥٧٦، أحمد، جـ١، ص ٢٩٣.
(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب" وفي موضع آخر... قال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فغرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي، يعني شاة من هذه الغنم؟ فقال إني مملوك، فقال: قل لسيدك أكلها الذئب، قال: فأين الله؟ قال فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

وإن تحققت أهداف المراقبة في النفس كان لذلك الأثر البين عليها ببدء المحاسبة خوفا من المطالبة... حيث إن محاسبة العبد نفسه أولى مراتب النجاة من أهل المطالبة، فينشأ من المحاسبة المطالبة... وهي العلم اليقيني بأن العبد مقصر في حق الله بعدم الوفاء بكل جوانب الشرع ومقصر في حقوق الخلق بما فرضه الله حقا على المسلمين فيلزم نفسه الوفاء قبل اللقاء لأن المطالبة في الحقوق لا تسقط بالتقادم، وإنما كلما تقادمت بها السنون زادت أعباؤها على النفس وبقيت إلى يوم الدين... مثال ذلك ما وضحه النبي ﷺ: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: يا رسول الله... المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصياح وحج فيأتي وقد شتم

هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا ونبش عرض هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار". وفي هذا بيان إبقاء المطالبة بين يدي الله رب العالمين.

وإن وصل العبد إلى هذه المكانة لقى الله بلا وزر إن هو أدى ما عليه من حقوق المطالبة لأن حق الله يقوم على المسامحة وحقوق العباد تقوم على المشاحة، ومن ذلك تنشأ المعاتبة إن قصرت النفس في الوفاء عند امتلاك القدرة أينما وجدت سواء كانت مالا أو صحة أو علما فإذا لم تسلم النفس مختارة في هذا وجبت العقوبة عليها، والعقوبة في الشق الدنيوي تتمثل في حرمانها من حق التمتع بنعمة الله تأديبا وتهذيبا.

مظاهر الولاء للرسول ﷺ:

١- حبه عليه السلام قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ...﴾ [سورة التوبة:٢٤] .

٢- تعظيمه وتوقيره عليه الصلاة والسلام ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ...﴾ [سورة الفتح:٩] .

٣- الثقة بكل ما أخبر به عليه السلام: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة النجم:٤] .

مظاهر الولاء للإسلام والمسلمين:

١- الالتزام العملي والفكري بالإسلام عقيدة وعبادة وخلقا.

٢- الأخوة والتناصر: يقول عليه السلام: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"(١).

٣- التآلف والتواد: بقوله عليه السلام: "ألا أخبركم بأكملكم إيمانا؟ أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون"(٢).

٤- الإيثار: وهو تقديم حظ الغير على حظ النفس.

٥- التعاون: يقول تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ...﴾ [سورة المائدة:٢].

٦- التضامن والاتحاد: يقول عليه السلام: "يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار"(٣).

ومن هنا ما تناولته سورة المجادلة من موضوعات عديدة، موضوع الحديث عن المنافقين إذ ورد في وصفهم آيات كثيرة من السورة تكشف عن ولائهم وتدبيرهم المكائد ضد الإسلام وأهله مثل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [سورة المجادلة:٨].

---

(١) البخاري، جـ ١٠ ن ص ١٧٩.
(١) الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ٨، ص ٢١ وعزاه للطبراني في الأوسط.
(٢) النسائي، كتاب تحريم الدم، جـ٧، ص ٩٢.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة المجادلة ١٤ :١٩] .

وإن خطر المنافقين على الإسلام لهو من خطر الكفار، فالكفار يصرحون بعقيدتهم وعدائهم للإسلام، أما المنافقون فيلبسون ثوب الإسلام في الظاهر ويبطنون الحقد والعداوة للمسلمين، لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿... هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ ...﴾ [سورة المنافقون:٤] . وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ...﴾ [سورة النساء:١٤٥] .

وسبب نزول الآية الكريمة: "ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى... إنما النجوى من الشيطان" أنه كما خرج ابن جرير عن قتادة قال: "كان المنافقون يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله الآية"(١)، كما نزلت الآيات الكريمة المتتالية: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(١) السيوطي، أسباب النزول للسيوطي، دار إحياء الكتب العربي، ص ١٩٢.

﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة المجادلة ١٤ :١٩] في فريق من المنافقين اتخذوا من اليهود الذين غضب الله عليهم أولئك لهم من دون المؤمنين، يوادونهم ويناصرونهم ويستنصرون بهم، ويتآمرون معهم ضد الإسلام والمسلمين الصادقين وينقلون لهم الأخبار، ويعملون بآرائهم، إلى غير ذلك مما يدل عليه فعل التولي[(١)]، وقد نزلت هذه الآيات في المنافق "عبد الله بن نبتل"[(٢)]، وقد قال الرسول ﷺ : "يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان أو بعيني شيطان – فدخل رجل عيناه زرقاوان – وكان هو "عبد الله بن نبتل "الذي والى اليهود وسب الرسول عليه السلام ونقل أخباره إلى اليهود، وعندما فاجأه الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك كذب وأقسم أنه لم يفعل"[(٣)].

والنفاق في نظر الإسلام آفة خطيرة من أعظم الآفات الاعتقادية والسلوكية تحلق الدين، وتستأصل المروءة والخلق، بل تجعل من المنافق

(٢) الميداني، ظاهرة النفاق، ص ١٠٩.
(١) محمود محمود حجازي، التفسير الواضح، م٣، ص١٢؛ الصابوني، صفوة التفاسير، جـ١، ص٣٤٢.
(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، جـ٢٩، ط ٣، دار إحياء التراث بيروت، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

إنسانا لا وزن له ولا اعتبار ولا كرامة عند الله، وعند أهل التقوى والمغفرة، فالمنافق دائما ما يكون مواليا ومحالفا لغير المسلمين ضد المسلمين،قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ [سورة الحشر:١١]، ويكشفون عورات المسلمين لأعدائهم ويخذلون في صفوفهم، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ...﴾ [سورة آل عمران:١٦٨]، ويكون النفاق أشد خطرا على الإسلام والمسلمين حينما يبتلى به بعض دعاة الإسلام في تملقهم وطاعتهم للحكام وهم يلهثون وراء المناصب والامتيازات الدنيوية، وذلك لأنهم في نظر المسلمين القدوة التي يجب أن يقتدوا بها.

النفاق في اللغة:

جاء في لسان العرب: "أن النفاق هو الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نفقاء، وقد نافق منافقة ونفاقا، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا، وفي حديث حنظلة: نافق حنظلة، أراد أنه إذا كان عند النبي ﷺ أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج من عنده ترك ما كان عليه ورغب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن، ما كان يرضى أن يسامح به نفسه، وفي الحديث: أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها، أراد بالنفاق ههنا الرياء كليهما إظهار غير ما في الباطن.

النفاق في الشرع و الإصطلاح:

ينقسم النفاق إلى قسمين: "أحدهما النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار، والثاني النفاق الأصغر وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك"(1) ويتضح من هذا التعريف أن النفاق الأكبر هو النفاق الاعتقادي، والنفاق الأصغر هو النفاق العملي.

تاريخ المنافقين ومواقفهم:

يعتبر النفاق أشد خطرا على الإسلام من خطر الكفر، وذلك لأن المنافقين ليسوا بعيدين عن مجالس المسلمين ومجتمعاتهم، ولذا كان من اليسير عليهم أن يصبحوا يدا وعونا لأعداء الإسلام ضد المسلمين، وواقع الأمر أن النفاق كفكرة قد نبت في مكة، ولكنه لم يظهر ويعلن كأسلوب عمل إلا في المدينة عندما وجد الأرض الخصبة لذلك متمثلة في مواقف "عبد الله بن أبي بن سلول" رأس المنافقين وأتباعه الذين وجدوا في الدين الإسلامي حربا على سلطانهم الدنيوي، وأبرز مثال على

(1) الحنبلي البغدادي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ط٥، دار الحديث، ص٥٣٠، ٥٣١.

ذلك أن "عبد اللّه بن أبي" كان ينتظر تتويجه ملكا على المدينة لولا مجئ النبي ﷺ واتخاذ المدينة حاضرة وموطنا للمسلمين.

وهنا يبدو أمامنا تساؤل ألا وهو، لماذا لم يترعرع النفاق إلا في المدينة رغم وجود جذوره في مكة؟ وللإجابة على هذا نقول: "أنه عندما تنتصر الدعوة وتعلو راية الإسلام وتستأصل قوة الكفر ويذهب سلطان الكافرين وتكون القوة والمنعة للمسلمين عند ذلك يمكن أن يوجد المنافقون الذين لم يؤمنوا مع المؤمنين ولم يبقوا على كفرهم ظاهرين معروفين مع الكافرين خوفا من سطوة المسلمين فيبطنوا الكفر ويطهروا الإسلام لذلك لا نجد نفاقا ولا منافقين إذا ما ظهرت وعلت سطوة الكفار لأن المنافق لا يخاف على نفسه حينئذ ولا حاجة له في النفاق، لذلك إذا تتبعت تاريخ المنافقين في مكة والمدينة لا تجد منافقين في مكة وذلك لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين لا حول لهم ولا قوة ولا سلطان وإنما السلطان لكفار قريش ولكن بعد أن هاجر النبي ﷺ والمسلمون إلى المدينة وصارت للمسلمين قوة وسلطان وانتشر الإسلام في المدينة ظهر النفاق والمنافقون".

وقد بدت مواقف المنافقين في الكيد للإسلام وهدم بنيانه الذي أقامه الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة واضحة جلية في إشعال نيران الفتنة بين المسلمين لتفريق كلمتهم، فعلى ماء المريسيع بعد غزوة

بني المصطلق وعندما حدث شجار بين أحد الأنصار وهو "سنان بن وبر الجهني" وأحد المهاجرين وهو "جهجاه بن مسعود بن سعد بن حرام الغفاري" على الماء، وشاء الله أن تخمد نيران هذا النزاع، ولهذا لم يستدرج رأس المنافقين "عبد الله بن أبي بن سلول" لهذه النهاية فأراد أن يشعل نار الفتنة مرة أخرى بين الأنصار والمهاجرين باغار صدور الأنصار ضد النبي والمهاجرين قائلا: "سمن كلبك يأكلك" مشيرا إلى التكافل الذي أقامه الأنصار مع أخوانهم من المهاجرين عندما جاءوا إلى المدينة، وقال أيضا: "والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، وعندما بلغ الرسول عليه السلام هذه الأقوال، أقسم "عبدالله بن أبى" كذبا أنه ما قال، فنزلت سورة "المنافقون" لتفضح هذا الكذب وهذا الكيد للمسلمين.

ولم يقتصر كيد المنافقين للإسلام على إشعال نيران الفتنة بين المسلمين بل امتد إلى ما هو أبشع من ذلك بالطعن في عرض الرسول ﷺ وزوجته عائشة متماثلا ذلك في "حادث الإفك" كما صورته سورة النور، وتثبيط حمية المسلمين عن صورتهم سورة التوبة حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ...﴾ [سورة التوبة:٨١] ، ويقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ...﴾ [سورة التوبة:٤٩] ، ومحاولة دنيئة منهم في مزاحمة الرسول ﷺ في الطريق لإيقاعه في

منحدر وإيذائه، وهم الذين عناهم الله سبحانه في سورة التوبة بقوله: ﴿...وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ...﴾ [سورة التوبة:٧٤] ، وفضلاً عن ذلك فقد حاولوا القضاء على الرسول ﷺ والمسلمين ببنائهم "مسجد الضرار" وطلبوا من الرسول الصلاة فيه للإيقاع به، ولكن الله لطف وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بتحريق هذا المسجد وهدمه.

أقسام النفاق:

ينقسم النفاق إلى قسمين:

أولاً: النفاق الاعتقادي، وهو أن يتظاهر المنافق بالإسلام ويبطن الكفر ليقوم بدوره في محاربة العقيدة الإسلامية والتآمر على المسلمين، يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة ٨ :١٦] ، ومن هذه الآيات نعلم أن المنافق نفاقا اعتقاديا غير مؤمن وهو في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ...﴾ [سورة النساء:١٤٥] ، ويقع تحت هذا القسم من النفاق الاعتقادي الكثير من الفرق التي تنتمي إلى الإسلام ظاهريا ويكيدون له خفية أو جهرا مثل: النصيرية والإسماعيلية، والدروز، والبهائية،

والدهرية، والفرق التي تخدم اليهود ومخططاتهم مثل الماسونية، وكذلك الذين ينتمون إلى الأحزاب العالمية التي تعمل على تدمير الإسلام والمسلمين مثل الشيوعية والقومية والاشتراكية وغير ذلك[1].

ثانياً: النفاق العملي: "المنافق نفاقا عمليا هو الذي يعمل عمل المنافقين دون قصد أن يكون منافقا ولكن فعل ذلك لضعف إيمانه، ولهذا النفاق صور: فئة تستحي من الناس ولا تستحي من الله"، ويقول عنها عز وجل: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ ...﴾ [سورة النساء:١٠٨] ، ومنهم من يمشي بين الناس بأكثر من وجه بغرض الإفساد بين المسلمين وعنهم يقول النبي ﷺ: "تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون خيار الناس في هذا الشأن"، أي في ابتغاء الإمارة "أشدهم له كراهة وتجدون شر الناس الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"، والذين يمدحون السلاطين والأمراء في حضرتهم ويذمونهم إذا ما خرجوا وعنهم قال عبدالله بن عمر: "كنا نعد هذا نفاقا في عهد رسول الله ﷺ ، هذا فضلا عن خصال

(١) عبد الله ناصح علوان، عقبات في طريق الدعوة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام، دار السلام، ص ٣٥ ــ ٣٩.

النفاق التي ذكرت في الحديث الشريف: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[١].

علامات النفاق والمنافقين:

عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: "أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر"، إذا حدث كذب المعنى أن يحدث بحديث لم يصدق به وهو كاذب له، وفي المسند عن النبي ﷺ قال: "كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت به كاذب"[٢] قال الحسن "كان يقال النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج، وكان يقال أساس النفاق الذي بني عليه الكذب"[٣].

---

(٢) مسلم، م١، جـ٢، باب خصال المنافق، ص ٤٦.
(١) أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في المعاريض، جـ٤، ص١٩٥.
(٢) الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، جـ٥، دار الحديث، ص٥٢٠.

وإذا وعد أخلف، وهو على نوعين: أحدهما أن يعد وفي نيته عدم الوفاء، وهذا يعد من أشر الخلق، قال الأوزاعي: "ولو قال" افعل كذا إن شاء الله تعالى وفي نيته ألا يفعل كان كذبا وخلفا"، والثاني: أن يعد وفي نيته أن يفي ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف، قال رسول الله ﷺ: "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله"[1].

وإذا خاصم فجر: ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمدا حتى يصير الحق باطلا والباطل حقا وهذا مما يدعو إليه الكذب[2] قال رسول الله ﷺ: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[3].

وإذا عاهد غدر: إذا عاهد غدر ولم يف بالعهد وقد أمر الله بالوفاء بالعهد فقال تعالى: ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٤] ، وقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ...﴾ [سورة النحل:٩١] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ...﴾ [سورة آل عمران:٧٧] .

والخيانة في الأمانة بالتصرف فيها على خلاف ما يقتضيه الشرع الشريف، وهي قبيحة شرعا وعقلا، ومن شر أنواع الخيانة الغدر في

(٣) الحنبلي، المصدر السابق، ص ٥٢١.
(٤) الحنبلي، المصدر السابق، ص ٥٢٢.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب في الألد الخصام أربعة، جـ٤، ص ٢١٥٤، البخاري، جـ٥، ص ١٠٦.

المعاهدات وكل من تحالف مع إنسان على شيء ثم غدر كان منافقا[1]، فإن أؤتمن الرجل على أمانة فالواجب عليه أن يردها، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ...﴾ [سورة النساء:٥٨] ، وقال النبي ﷺ: "أد الأمانة إلى من ائتمنك"[2].

صفات المنافقين الخلقية:

يوضح القرآن الكريم صفات وأوصاف هؤلاء المنافقين الجسمية والسلوكية لتكون واضحة جلية أمام أعين المؤمنين، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ [سورة المنافقون:٤] ، فيتصف هؤلاء القوم بجمال الجسم، ومن بين هؤلاء "عبد الله بن أبي بن سلول"، "جد بن قيس" معتب بن قيس" فقد كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة، وهذه الصفات احتمال تكرارها في المنافقين في كل حين.

ومن بين أوصافهم الخلقية أنهم كالخشب المسندة فقد كانوا في مجالس النبي يبتعدون عن الجلوس في وسط المجلس مع المسلمين، بل كانوا يرتكنون بظهورهم إلى الجدران رغبة في عدم الاستماع والانتفاع

---

(١) علي محفوظ، هداية المرشدين، ص ٢٨٦.
(٢) أبو داود، كتاب البيوع، باب الرجل يأخذ حقه من تحت يده، جـ٣، ص ٢٨٨.

مما يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن الجدير بالملاحظة أنه رغم ضخامة أجسامهم إلا أن الله قد أنزل الرعب والفزع في قلوبهم فقد كانوا يهلعون ويفزعون عند سماع أية صيحة حتى ولو كانت لمصلحتهم ومنفعتهم اعتقادا منهم أن هذه الصيحة تنذر بنازلة عليهم بما يكرهون، وذلك "لأنهم أعداء يلبسون ثياب أصدقاء وأهل ولاء".

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [سورة المنافقون٥ :٦] ، وهذه الآية توضح موقفهم من الرسول ﷺ واستكبارهم وطلبهم للزعامة وكفرهم الباطن وعدم ولائهم لله وللرسول وللمؤمنين، فكلما طلب منهم الذهاب إلى الرسول ﷺ لطلب المغفرة لهم من الله أداروا رءوسهم تعبيرا عن الرفض، ومن الجدير بالملاحظة والذكر أن هذه الصفات تتكرر على مر الأزمان في منافقي كل عصر وكل أمة.

ويقول الله تعالى عنهم: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣﴾ [سورة الحشر:١٣] ، وهذا يدل على اتصافهم بالجبن والخذلان من المؤمنين والرعب المتمكن من قلوبهم، وأنهم يخافون المؤمنين ويرهبونهم أكثر من خوفهم ورهبتهم من الله عز وجل، وهذا لا

يدل على الجبن فحسب، بل على الغباء والجهل أيضا فالله سبحانه أحق أن يخشوه أكثر من خشيتهم من المؤمنين ولكن الله سبحانه وتعالى وضع فيهم هذه الصفة الخسيسة حتى يظلوا طوال حياتهم في رعب وهلع وقلق كلما رأوا المؤمنين أمام أعينهم.

صفات المنافقين الخُلقية:

لقد دأب المنافقون على التخلق بالأخلاق الذميمة والأفعال السقيمة، وعلى رأس هذه الصفات، تلك الصفة القبيحة، وهي صفة الكذب والحلف بالإيمان الكاذبة، وهذه الصفة تلازمهم فيما يقولون من كذب إثباتا أو نفيا حتى في موقف حسابهم بين يدي ربهم يوم الدين، فيحلفون لله الإيمان الكاذبة على ما ينكرون أو ما يدعون، رجاء أن تنجيهم إيمانهم من عذاب الله، ظانين أن أكاذيبهم وأيمانهم تنفعهم عند الله، كما استطاعوا أن يستروا بها أنفسهم في الدنيا، واتبعوا هذا الطريق البغيض مع الرسول ﷺ ليستروا نفاقهم، وهذا ديدنهم دوا ما في كل قرن وفي كل عصر وأمة، فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المجادلة:١٨] ،

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦﴾ [سورة المجادلة:١٦] ،أي أنهم اتخذوا أيمانهم سترا ووقاية وهي كاذبة فاجرة حتى يتخلصوا من القتل الذي كان سينزل بهم، ومنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، ولكن الله يعلم إنهم لكاذبون منافقون ولهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة[1].

كذلك تخلق المنافقون بصفة أخرى ألا وهي "موالاة أعداء الإسلام من اليهود والنصاري" لمنفعتهم الخاصة من ناحية، ومن ناحية ثانية ليكونوا معهم على المسلمين، وقد فضحهم الله سبحانه وتعالى في آياته الكريمة: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [سورة المجادلة:١٤] . فتتحدث الآية الكريمة عن فريق من المنافقين اتخذوا من اليهود الذين غضب الله عليهم أولياء لهم من دون المؤمنين، يوادونهم ويناصرونهم ويستنصرون بهم، ويتآمرون معهم ضد الإسلام والمسلمين الصادقين، وينقلون لهم الأخبار ويعملون بآرائهم، إلى غير ذلك مما يدل عليه فعل التولي، "وأن هؤلاء القوم لا من المؤمنين الخلص ولا من الكافرين الخلص أي مذبذبين بين ذلك لا إلى

(١) انظر التفسير الكامل لهذه الآيات حول المنافقين الكاذبين في: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط٣، جـ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٢٧٤، ٢٧٥؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ، دار الشروق، ص ٣٥١٣؛ الصابوني، صفوة التفاسير، دار الرشيد، ص ٣٤٢، ٣٤٣؛ المنتخب في التفسير، ص ٨١١ ـ ٨١٣.

هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وقد نزلت هذه الآية في "عبد اللّٰه بن نبتل" المنافق[1] الذي قال عنه النبي ﷺ: "يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان أو بعيني شيطان – فدخل رجل عيناه زرقاوان، وكان عبد اللّٰه بن نبتل – الذي سب النبي ﷺ ونقل أخباره إلى اليهود وأقسام أمام الرسول ﷺ أنه لم يفعل ذلك، وهؤلاء القوم هم "حزب الشيطان" الذين أنساهم ذكر اللّٰه وباعوا الآخرة بالدنيا والجنة بالنار والهدى بالضلالة"[2].

وهؤلاء الذين اتخذوا أعداء الإسلام أولياء لهم قد خانوا الأمة الإسلامية خيانة عظمى ولذا تجرى عليهم الأحكام الإدارية التي توقعهم تحت طائلة أقصى العقوبة واجتماع المسلمين لقتال هؤلاء الخونة المنافقين الذين تعاونوا مع أعداء الإسلام وناصروهم ضد المسلمين لخدمة مصالحهم الدنيوية.

وتبرز صفات النفعية والانتهازية عند المنافقين عندما انخذل عبد اللّٰه بن أبي ابن سلول "في غزوة أحد لأنه لا يريد قتلا ولا يعرض نفسه لمخاوفه ومغباته، فهم يريدون أن يأخذوا ما في الإسلام من غنائم ويبتعدون عما فيه من مغارم وأتعاب وإنما الذي يبقيهم على الإسلام

---

(١) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، م٣، دار التفسير، ص١٢؛ الصابوني، صفوة التفاسير، ص٣٤٢.

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، م ، دار الريان للتراث، ص ٦٤٧٤، سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ، دار الشروق ن ص ٣٥١٣ ـ ٣٥١٤.

أحد شيئين: "غنيمة يتوقعونها، أو مصائب ومحن يتوقونها، فهم يتعاملون مع الفريقين من المؤمنين والكافرين في حالة الغلبة والنصر بنفس الأسلوب الانتهازي بالتودد إلى المنتصر من الفريقين وإيهامه بأنهم كانوا معهم على الفريق الآخر أي الذي أصابته الهزيمة والانكسار وذلك حتى يشاركونهم في الغنيمة ويبعدون عن أنفسهم الأذى، فهم "ينتهزون الفرصتين ويتوقحون في هذا وذاك دون حياء ولا اعتداد بوفاء"(١) وقد صورهم الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿... مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ...﴾ [سورة المجادلة:١٤] . أي ليسوا من اليهود الخلص ولا من المؤمنين الخلص، فهم ليسوا من اليهود في حالة ضعف اليهود، لأن صحبتهم في هذه الحالة لا تعود عليهم بالنفع، وكذلك ليسوا مع المسلمين في نفس حالة الضعف لعدم استفادتهم بشيء يعود عليهم بالفائدة فهم دائما مع القوى لهثا وراء الغنيمة والمنفعة المؤقتة.

ومن الآثار التي نجمت عن موالاة المنافقين لأعداء الإسلام "التخذيل للمؤمنين ومحاولة الفت في عضدهم وتثبيطهم عن الجهاد في سبيل الله"، وقد عني القرآن الكريم بالكشف عن كثير من ألوان التخذيل للمؤمنين عامة والمجاهدين خاصة لتكون عبرة للأبناء والأحفاد بعدهم حتى يكونوا على حذر، فقد أشاع هؤلاء القوم موت الرسول في غزوة

(١) محمد محمد المدني، المجتمع الإسلامي كما تصوره سورة النساء، ص ١٣٨.

أحد ليوهنوا من عزيمة المؤمنين،قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤٤] ، كما أشاعوا الأسف والندم على موت من خرج للجهاد والغزو، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى ... ﴾[سورة آل عمران:١٥٦] ، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ ...﴾[سورة آل عمران:١٦٨] ، وقال تعالى: ﴿... لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ ...﴾[سورة آل عمران:١٥٤] ، وفضح الله تعالى تخذيلهم في قوله تعـــالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [ســورة النســاء٧٢ :٧٣] ، وهم أنفسهم الذين أظهروا الطاعة والامتثال ولكن مع إخفاء العزم على المخالفة حين الأمر بالقتال، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ...﴾[سورة النساء:٨١]، وإشاعة أخبار الحرب وهم لا يعرفون شرها من خيرها ولا ضارها من نافعها: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ ...﴾[ســورة النســاء:٨٣] ، ويصور الله سبحانه وتعالى تخزيل المنافقين في قوله تعالى: ﴿... مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ ...﴾[سورة الأنفال:٤٩] ، وظهرت صورتهم واضحة جلية عندما خرجت

الأحزاب لمقابلة الرسول ﷺ وغزو المدينة واشتد الأمر على المؤمنين فقالوا: ﴿... مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الأحزاب:١٢]، ولذلك أخذوا خبر عدم الإنفاق على المؤمنين المجاهدين وعدم إعانتهم وتخذيلهم، ويرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة المنافقون:٧].

ولم تقتصر أخلاق المنافقين وسماتهم عند حد خذلان المؤمنين وموالاة أعدائهم بل تجرعوا على الإفساد بين المؤمنين، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ...﴾ [سورة التوبة:٤٧]، فيحرص المنافقون على إضعاف المسلمين وتفريق صفوفهم، ولذا بين الله سبحانه وتعالى أن المنافقين ليسوا من المؤمنين، كما أشاعوا الفتنة والإفساد في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة البقرة١١ :١٢].

ولأن حياة المنافقين قد انطوت على النفعية والانتهازية فقد اتخذوا من الخداع والرياء في العبادة ستارا ليحصلوا على أمن وثقة المسلمين، ولكن الله سبحانه وتعالى فضحهم وصورهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة النساء:١٤٢]

فهم يتكلفون في العبادة مع عدم الخشوع في الصلاة، والإسراع في أدائها، بل وصل الأمر بهم إلى التثاقل والكسل عند القيام لأداء الصلاة، وقد صورهم الرسول ﷺ في حديثه الشريف حيث قال: "تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا"(1).

وقد انطلق المنافقون من خداعهم وريائهم في العبادة للمؤمنين إلى الاستهزاء بالدين الإسلامي والمسلمين، فقد جبلوا على الاستهزاء بآيات الله والكفر بها، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [سورة البقرة١٤ :١٥] وقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من مجالسة مثل هؤلاء أو الإقبال على أحاديثهم أو الرضا به حتى لا يشاركونهم في الإثم والمنكر والكفر وحتى لا يشجعونهم على الخوض في آيات الله، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [سورة النساء:١٤٠]،

---

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب التبكير إلى العصر، جـ٥، ص ١٢٣.

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأنعام:٦٨] .

وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة من علامات أهل الإيمان، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ...﴾ [سورة التوبة:٧١] ، وبما أن المنافقين قد ابتعدوا عن حزب المؤمنين فأخذوا يدعون إلى المنكر وينهون عن المعروف، يقول اللّٰه تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة التوبة:٦٧].

ومن صفاتهم التي تدل على انعدام الإيمان في قلوبهم أن يتحاكموا إلى الطاغوت يقول اللّٰه سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النساء:٦٠] .

وكذلك من الظواهر الواضحة لسلوك المنافقين وخطرهم على الإسلام ظاهرة لمز المتطوعين في الصدقات، وتتمثل في السخرية من المتصدقين بالقليل، واللمز من المتصدقين بالكثير بأنه رياء،فيقول الله عنهم:﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة التوبة:٧٩] ، وعن أبي حاتم عن عكرمة قال: "حيث رسول الله ﷺ على الصدقة – يعني في غزوة تبوك – فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف، فقال يا رسول الله، مالي ثمانية آلاف، جئتك بنصفها وأمسكت نصفها، فقال: "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت"، وتصدق يومئذ "عاصم بن عدي" بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر، فقال المنافقون: ما أخرج هؤلاء صدقاتهم إلا رياء، وأما أبو عقيل فإنما جاء بصاعه ليذكر بنفسه، فنزلت الآية"(١).

ووصلت السفاهة بالمنافقين السفهاء أن رموا المؤمنين بالسفة، فيقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٣] ، وهنا تصور الآيات الجهل والغرور للفريقين من اليهود والمنافقين الذين يرمون المؤمنين الذين آمنوا بالسفة، ولكن حقيقة الأمر أنهم هم السفهاء ولكن غرورهم وجهلهم يصور لهم غير ذلك(٢).

---

(١) محمد رشيد رضا ن تفسير القرآن الحكيم، جـ١، ص ١٥٩.
(٢) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، جـ١، ص ١٥٩ – ١٦٢.

ولبس المنافقون في كل أعمالهم لباس البخل، ويصورهم الله في قوله: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب١٨ :١٩] ، وهذه الآيات تدل على أن في نفوس المنافقين: "كزازة على المسلمين: كزازة بالجهد وكزازة بالمال وكزازة في العواطف والمشاعر على السواء، ويصور الله سبحانه هذا الصنف الجبان في صورة مضحكة تثير السخرية من هذا الصنف الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار وأشد إثارة للسخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويجئ الأمن خرجوا من الجحور وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش وانتفخت أوداجهم بالعظمة ونفشوا بعد الانزواء وادعوا في غير حياء ما شاء لهم الادعاء من البلاء في القتال والفضل في الأعمال بتبجح وطول لسان، ولذا أحبط الله أعمالهم ولم ينجحوا لأن عنصر النجاح ليس هناك وكان ذلك على الله يسيرا، وليس هناك عسير على الله وكان أمر الله مفعولا"(١).

(١) منير الغضبان، المنهج للسيرة النبوية، ص ٢٣٨.

وللمنافقين صفات أخرى كثيرة ذكرتها آيات القرآن الكريم، وحديث آيات المنافق الذي فصله الرسول ﷺ منها: "الغدر وعدم الوفاء بالعهد مع الله". فيقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة التوبة٧٥ :٧٨] ، وقد نزلت هذه الآيات في ثعلبة بن حاطب "وله قصة مشهورة في طلب الثراء وعده مع الله سبحانه وتعالى، كما وصل بهم الأمر إلى الشك في وعد الله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:١٢] .

هذا فضلا عن التقاعد والتخلف عن الجهاد، فيقول الله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ... ﴾ [سورة التوبة:٨١] ، وقد بلغ بهم النفاق بلين القول وحلاوة اللسان إلى اللدد في الخصومة، يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [سورة البقرة:٢٠٤]، وعدم الثبات على حال من الإيمان، والتزلزل في علاقتهم بالله، يقول الله عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾ [سورة النساء:١٣٧] ، ومن الجدير بالملاحظة أن هؤلاء المنافقين قد حازوا كل هذه الصفات وتخلقوا بكل هذه الأخلاق السقيمة نتيجة مرض قد

أصـــابهم في قلـــوبهم وعقـــولهم أدى بهـــم إلى الفســـاد في العقيـــدة والانحراف عن منهج الإسلام المستقيم، وإتباع طريق الهوى والضلال، فيقـــول الله تعـــالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ ...﴾ [سورة البقرة:١٠].

وذكـر بعـض المفسريـن أن سبـب نـزول الآيـة الكريمـة:﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ســـورة التوبة:٧٥] ما حدث مع "ثعلبة بن حاطب الأنصاري" حيث قال لرسول الله ﷺ: "ادع الله أن يرزقني مالا، فقال رسول الله ﷺ: "ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه"[١]، وهذا الحديث احتج به الغزالي وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء، سندها ضعيف كما رواه الطبراني والبيهقي في "الدلائل" كلهم من طريق علي بن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن بن أبي أمامه، وهذه القصة– رغم شهرتها بين أهل التفسير – فهي محل نظر في السند والمعنى والأصول.

(١) تفسير القرطبي، م ٥، دار الريان للتراث، ص ٣٠٤٨.

أولاً: فيما يتعلق بالسند: في رواته معان بن رفاعة والقاسم بن عبد الرحمن وعلي ابن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني، وكلهم ضعفاء ومسكين بن بكير ليس بالقوي[1]، وقال الهيثمي في المجموع، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك.

ثانياً: أما المعنى: لأن الله تعالى أمر بقبض ذكوات أموال المسلمين، وأمر عليه الصلاة والسلام عند موته أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلما، ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولابد ولا فسحة في ذلك، وإن كان كافرا ففرض أن لا يقر في جزيرة العرب فسقط هذا الأثر بلا شك.

قال القرطبي: وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روى عنه غير صحيح، بدري أي من أهل بدر حيث قال فيهم رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". رواه البخاري في كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا جـ٧/٣٠٤.

(١) المحلي لابن حزم، جـ١١، ص ٢٠٨.

وعن جابر رضي الله عنه أن عبدا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبا فقال يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ: كذبت، لا يدخلها فإنه شهد بدرا والحديبية (رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحافة باب فضائل أهل بدر رضي الله عنهم ١٦/٥٧ بشرح النووي).

وعند الإمام أحمد: لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية (أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٩٦).

فكيف نقول في حق رجل شهد له النبي ﷺ بالجنة في الجملة بأنه مات على النفاق، وكيف ترد هذه الأحاديث الصحيحة بمثل هذه القصة الواهية.

ثالثاً: أما مخالفتها للأصول: لأن فيها مخالفة لأصل من أصول الشريعة الإسلامية وهو قبول التوبة من التائب، فمهما بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب تاب الله عليه، وهذا ما بينه الله في كتابه في قوله سبحانه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزُّمَر:٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء:١٧] .

وعن أبي موسى عبد اللّه بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن اللّه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"[1].

وهناك آراء أخرى حول شخصيات غير "ثعلبة بن حاطب الأنصاري" فقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين" نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير"، قال القرطبي: وهذا أشبه بنزول الآية فيهم ويكون المعنى: زادهم نفاقا ثبتوا عليه إلى الممات وهو قوله: "إلى يوم يلقونه" وقال قتادة: هو رجل من الأنصار، ولم يسمه باسمه.

ويورد لنا أحد العلماء[2] حديث ثعلبة مطولا حيث قال لرسول اللّه ﷺ: "ادع اللّه أن يرزقني مالا، فقال رسول اللّه ﷺ: "ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، ثم قال ثعلبة مرة أخرى فقال له رسول اللّه ﷺ أما ترضى أن تكون مثل نبي اللّه؟ فو الذي نفسي بيده لو أردت أن تصير الجبال معي ذهبا وفضة لصارت، قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت اللّه فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه، فقال

(١) مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب، جـ٤، ٢١١٣.

(١) أبو الهيثم صقر جندية، "أباطيل المفسدين حول ثعلبة رضي الله عنه" مجلة التوحيد، العدد ٧، رجب ١٤٠٤هـ، ص ٣١ – ٣٣.

رسول الله ﷺ: اللهم ارزق ثعلبة مالا، فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار، فقال رسول الله ﷺ: ما فعل ثعلبة؟ "فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة... فأخبروه بأمره، فقال:يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة" وأنزل الله عز وجل "خذ من أموالهم صدقة" ونزلت فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: "مرا بثعلبة وبفلان – رجل من بني سليم – فخذا صدقاتهما "فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاة الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ ، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي، فانطلقا وسمع بهما السليمي، فنظر إلى خيار أسنان إيله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك، فقال: بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة

فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية: انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ، فلما رآهما قال: "يا ويح ثعلبة" قبل أن يكلمهما، ودعا للسيلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السيلمي فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ...﴾ [سورة التوبة:٧٥]، وبعد نزول الآيات علم ثعلبة فجاء إلى رسول الله ﷺ نادما تائبا يقدم الصدقة فلم يقبلها، فلما قبض رسول الله ﷺ عرض الصدقة على أبي بكر فلم يقبلها ثم عرضها على عمر فلم يقبلها حتى هلك ثعلبة في زمن عثمان".

ونقول إن هذه الرواية باطلة، لأن ثعلبة كان بدريا أي من أهل بدر حيث قال فيهم رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" وثعلبة هذا ممن شهدوا بدرا.

وهذا الحديث الذي ورد في أهل بدر لا يكون مسوغا لهم في ارتكاب أفعال مخالفة للإسلام حتى ولو كانت من الصغائر "إذا عاهد غدر..." وقد عاهد هذا الرجل الله ورسوله إذا ما أتاه الله مالا أن يتصدق به، وقد أتاه الله، ولكنه نقض العهد فدخل بذلك في زمرة المنافقين، والله

سبحانه وتعالى لا يمكن أن يقصد من وراء كلمة "فافعلوا ما شئتم" أن تكون أفعالا مثل هذه، ولكن هذا الكلام يوحي بإكرامهم وغفران ذنوبهم وحسب، ولا يعقل أن يفعل البدريون مثل هذه الأفعال المنافية لأسس الإسلام الحنيف، هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية فإننا نرى أن القصة باطلة بالفعل من خلال بعض أقوال في الرواية، فكون هذا الرجل قد منع الزكاة فقد أصبح مرتدا إذا كان مفتقدا عدم فرضيتها، وكونه قد منع الصلاة فقد أصبح كافرا إذا كان معتقدا عدم فرضيتها كما أن مصطلح "الجزية" التي قال بها هذا الرجل لم يكن سائدا في ذلك الوقت فالجزية لم تفرض إلا على أهل الذمة في البلاد المفتوحة والذين ظلوا على دياناتهم السابقة، وفرضت على الذميين كضريبة حماية ودفاع، وهذا لم يحدث إلا بعد وفاة الرسول ﷺ وبداية الفتوحات الإسلامية، فلم تحدث الفتوحات الإسلامية إلا في عهد أبي بكر والخلفاء من بعده، أما في عهد الرسول ﷺ فلم يكن هناك ذميين في الدولة الإسلامية الناشئة في مكة والمدينة، وهذا يدل على أن الرواية مختلفة من أساسها وقد أوتي بها بعد الرسول ﷺ للذم في بعض صحابة الرسول ﷺ والذين لم يصدق عليهم ارتكاب أفعال منافية للإسلام مثل هذه الأفعال.

وبعد ذلك تؤكد على أن الآيات الكريمة "ومنهم من عاهد الله..." أنها قد نزلت في بعض المنافقين الخلص الذين عرفوا بالنفاق منذ بداية الإسلام، وليس من صحابة الرسول ﷺ ، ويحتمل أن هذه الآيات قد نزلت على سبيل التحذير للمسلمين من ارتكاب أفعال تدخلهم في زمرة النفاق والمنافقين خاصة وأن من علامات النفاق" من عاهد غدر.." وأن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان.

وبعد أن كشف القرآن الكريم حقيقة النفاق والمنافقين وفضح سوء نياتهم وخبث طوياتهم وقبح أفعالهم وخطرهم على الإسلام والمسلمين كان على الداعية أن يقف منهم وقفة المجاهد انطلاقا من أمر الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ بمجاهدتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ...﴾ [سورة التحريم:٩] [سورة التوبة:٧٣] ، وتتمثل هذه المجاهدة في بذل الداعية جهده في تعرية المنافقين وبيان أخلاقهم وصفاتهم للمدعوين وأن يكون قبل ذلك مجتنبا لأخلاقهم ومخالطتهم وألا يقع في مزالق أي نوع من أنواع النفاق الاعتقادي أو العملي، وأن يكون له درسا من إملاء الرسول ﷺ عدد المنافقين على سيدنا "حذيفة" وأمره له بعدم الصلاة على أحد منهم مات أبدا.

ولا أعتقد داعية يدعو إلى الله على هدى وبصيرة ويؤمن بالله واليوم الآخر ينحدر بمعتقده ودعوته إلى مستوى النفاق الاعتقادي، ذلك لأن النفاق يخرج صاحبه من الإسلام ويوقعه في الردة، بل يقذف به إن مات على ذلك في الدرك الأسفل من النار خالدا فيها أبدا، نعم قد ينزلق الداعية في بعض مواقفه وتصرفاته من حيث يعلم أو لا يعلم في أي منحدر إلى النفاق العملي كأن ينافق للحكام الظالمين أو يحاكي الفساق، أو تظهر منه خصلة من خصال النفاق المعروفة والتي سبق تفصيلها.

والأقبح من ذلك كله أن يعطي الانقياد والطاعة لحزب ضال أو رئيس ملحد أو هيئة لا دينية خارجة عن الإسلام، فهذا الانقياد والطاعة إذا وصل بالداعية إلى حد الولاء والإخلاص وتنفيذ الكفر ومخططاته والإلقاء إلى أولئك بالمودة والمحبة فيكون قد انحدر – لا سمح الله – إلى مستوى النفاق الاعتقادي الذي يحبط العمل ويخرج من الملة ولقد قال الله عز وجل عن هذه الزمرة المنافقة الضالة[1]، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف١٠٣ :١٠٤] .

(١) عبد الله ناصح علوان، عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام، ص ٤٩ – ٥١.

الا فيلحذر الدفتنة المصالح والجناه وليراقبوا المولى صبحانه في حركاتهم وسكناتهم وليحاسبوا أنفسهم في سرهم وجهرهم وليحرروا النية في كل مواقفهم الدعوية والتبليغية وليعلموا أن الله سبحانه سائلهم عن نياتهم وأعمالهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، "وهناك فرق بين النفاق والمداراة التي هي أين الكلام لبعض الناس من الكفار أو المنافقين أو السفهاء أو الأشراء إتقاء لشرهم بشرط ألا ينطوي قلبه على شيء من محبتهم ومودتهم وموالاتهم، وألا يعمل ماهو محرم كان يستخدم ليكون عينا على المسلمين وبث الفتنة والعداوة بين جماعات المؤمنين".

وقد أعد الله للمنافقين العذاب الشديد في الدنيا والآخرة، فقد أمدهم الله بالأموال والأولاد في الدنيا لتكون لهم عذابا وشقاء ليعذبهم بها، إذ يسبب لهم المال الهم والغم والمشكلات دون أن يستمتعوا به، ويجعل الله أولادهم أعداء لهم يتمنون موتهم ليرثوا هذه الأموال، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [سورة التوبة:٥٥] ، كما أعد الله لهم العذاب المهين في الآخرة جزاء أفعالهم القبيحة التي اقترفوها ضد المؤمنين في الدنيا فيقول تعالى:

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة المجادلة:١٥]

ويقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [سورة المجادلة:١٦]

ويقول تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [سورة النساء:١٣٨]

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [سورة النساء:١٤٥].

الفصل الثالث
علاقة المسلم بمجتمعه (من خلال السورة)

اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن يخلق الناس مجتمعين وأن يجعل الإنسان مدينيا بطبعه فلا يستطيع واحد من الناس أن يعيش وحده دون حاجة للغير وأن يستقل عن حاجة الناس، فقد قال الشعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة   بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولقد أشار القرآن وأشاد بالبناء الاجتماعي القوم الذي ينسجم مع الفطرة ومع وحي الله، وفي القرآن الكريم نستطيع أن نستخلص الكثير من العظات والعبر، وهذا هو زكريا عليه السلام يشكو الوحدة ويطلب الولد والذرية ليعطيهم ويعطوه مع ما في تربية الأولاد من مشقة وتعب لكنها الطبيعة التي خلق الله الناس عليها **قال تعالى**: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [سورة مريم١ :٢] **ويقول تعالى**: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ...﴾ [سورة آل عمران:٣٨] وقد طلب سيدنا إبراهيم نفس المطلب ودعا بمثل هذا الدعاء **يقول تعالى**: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ [سورة الصافات:٩٩] .

وإن طابع الطاعة نفسها طابعا تعاونيا فما معنى الجماعة في الصلاة وفي الجمع والأعياد؟ إن فيها دعوة للتأليف والترابط والتعاون،

إن الأصل في الزكاة تعاون الناس وتراحمهم فيما بينهم وإعطاء الغني جزءا من ماله للفقير المحتاج والحج أيضا دعوة للتعارف وإيصال البر إلى قوم يسكنون في هذا المكان تحقيقا لدعوة إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ...﴾ [سورة إبراهيم:٣٧] .

فالتعاون أساس السعادة ونظام العمران لذلك حث الشارع على هذا التعاون وحض عليه فيقول المولى جلا وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ...﴾ [سورة الحُجُرات:١٣] ، وقال أيضاً: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ...﴾ [سورة المائدة:٢].

ولقد كانت دعوة النبي ﷺ المسلمين إلى أن يكونوا كالبنيان يشد بعضهم بعضا وهو تعبير دقيق يعطي للتعاون معنى التكاتف وكأن مصلحة المؤمن هي نفس مصلحة أخيه، لذا نراه ﷺ يقول في الحديث الشريف: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا..."[(١)]، ثم يدعو إلى مساعدة الآخرين والوقوف بجانب المحتاجين سواء كانت هذه الحاجة مادية أو معنوية فيقول ﷺ: "خير الناس أنفعهم للناس" ويقول أيضا:

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ٤، كتاب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، ص ٥٥؛ مسلم، م٦، جـ١٦، باب تحريم الظلم، ص ١٣٩.

"من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[1].

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [سورة المجادلة:١١] .

وسبب نزول هذه الآية كما يقول قتادة في مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض، وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم ذلك فرداوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم

---

(٢) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص١٣٤، ١٣٥.

قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم فقال المنافقون: ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس والله ما رأيته قد عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقاموا وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله رجلا يفسح لأخيه فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسخ القوم لإخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة، وإذا صحت هذه الرواية فإنها لا تتنافى مع الأحاديث الأخرى التي تنهي عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه كما جاء في الصحيحين: "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا"، وما ورد كذلك من ضرورة استقرار القادم حيث انتهى به المجلس فلا يتخطى رقاب الناس ليأخذ مكانا في الصدر: فالآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس كما تحض على إطاعة الأمراء إذا قيل لجالس أن يرفع فيرتفع وهذا الأمر يجئ من القائد المسئول عن تنظيم الجماعة لا من القادم، والغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان ومتى رحب القلب اتسع وتسامح واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة فأفسح لهم في المكان عن حب وارتياح فأما رأى القائد أن هناك اعتبارا من الاعتبارات يقتضي إخلاء المكان فالطاعة يجب أن ترى عن

طواعية نفس ورضى خاطر وطمأنينة بال مع بقاء القواعد الكلية مرعية كذلك مع عدم تخطي الرقاب أو إقامة الرجل للرجل ليأخذ مكانه، وإنما هي السماحة والنظام يقررهما الإسلام والأدب الواجب في كل حال، ومن هذه الآداب التي اعتنى بها الإسلام من خلال هذه الآيات:

آداب المجالس:

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المجادلة٩ :١١] .

في هذه الآيات يعلم الله عباده أدب المجالس وقد بين لهم قبل هذه الآية ما كان عليه اليهود والمنافقين في مجالسهم أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم فشكا أصحاب رسول الله ﷺ هؤلاء إليه فنهاهم النبي ﷺ فلم ينتهوا، فنادى الله عز وجل جماعة المؤمنين ألا يسلكوا مسلك هؤلاء وأن يكون تناجيهم بالبر

أي بالخير والطاعة والإحسان وألا يكون بالإثم وهو القبيح من القول أو العدوان على الغير أو المخالفة والمعصية لأمر الرسول ﷺ لأن هذا من تزيين الشيطان، ثم أمرهم بعد ذلك أن يوسع بعضهم لبعض في المجلس، فمن أفسح لأخيه في مجلسه وأكرمه وسع الله عليه وأكرمه.

يقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين: "وتناجوا بالبر" أي بالفرائض والطاعات، "والتقوى" أي بترك المعاصي ويحتمل أن يكون المراد بالبر الورع وبالتقوى الواجبات من صلاة وزكاة واتباع كتاب"[(1)].

والمسلم حياته كلها خاضعة وتابعة للمنهج الإسلامي الذي تناول كل شأن من شئون الحياة حتى جلوس المسلم وكيفية مجالسته لإخوانه فلذا كان على المسلم أن يلتزم بالآداب التي تتمثل في النقاط التالية:

أولاً: السلام على أهل المجلس: وهذا أدب رفيع من آداب الإسلام ينشر المودة والتآلف بين الجالسين ومن هم قادم عليهم إذ السلام في معناه الأمن والطمأنينة، حتى إذا ما فرغ من السلام يجلس حيث انتهى به المجلس ولا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما ولا يقيمن أحدا من

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م ٣ ن ص ٤٦٢.

يجلس فيه، قال ﷺ: "لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا أو تفسحوا".

ثانياً: إذا قام أحد من مجلسه وعاد إليه فهو أحق به لقوله ﷺ: "إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به"[1].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فلقد علمنا نل شيء حتى في مجالسنا: "لقد كان ﷺ أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس، وما روى قط مادا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبين قرابة ولا رقاع يجلس عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

فعن ثابت عن أنس رضي الله عنهما قال: "دخل سلمان على عمر وهو متكئ على وسادة فألقاها له فقال سلمان: الله أكبر، صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدثنا يا أبا عبد الله، فقال سلمان: دخلت على رسول الله ﷺ

(٢) مسلم، م ٧، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه، ص ٤١٥.

وهو متكئ على وسادة، فألقاها إلي ثم قال: يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم، فيلقي له الوسادة إكراما له إلا غفر الله له"، وعن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس احتبى بثوبه، وعن أبي أمامه الحارثي قال: "كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس القرفصاء"[1].

ومن الكبر أن يجلس الإنسان في وسط الحلقة لقول حذيفة أن الرسول ﷺ لعن من جلس في وسط الحلقة.

ثالثاً: أن يراعى في مجلسه شعور إخوانه لأن مخالفة المسلم لهذه الآداب فيها إيذاء لمشاعر إخوانه وهو ما نهى عنه النبي ﷺ في قوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" بمعنى ألا يكذب الإنسان في حديثه من أجل أن يضحك الآخرين مثلا قال ﷺ "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب، ويل له ويل له ويل له"، وألا يكثر من مدح بعض الجالسين رياء ونفاقا، فقد نهى الرسول ﷺ عن هذا الأمر، فعن أبي هريرة أنه قال: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين التراب".

(١) الأصفهاني، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق أحمد محمد مرسي ومراجعة محمد عبد الرحمن عثمان، مؤسسة الأهرام، ص ٢٦٤.

ويجب على المسلم كذلك أن ينصت إلى غيره حيث يتحدث وألا يقاطع الكلام وألا يظهر عدم اهتمامه بحديث غيره، وكذلك يجب عليه ألا يتكلم فيما لا يعنيه، قال ﷺ: "من حسن السلام المرء تركه مالا يعنيه"، كذلك فإن الفضول من الصفات غير مستحب في المجالس قال ﷺ: "طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله" وعلى المسلم ألا يخوض في حديثه في الباطل لقول الرسول ﷺ: "أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل".

ومن آفات اللسان التي يجب على المسلم تركها في مجلسه مع إخوانه المراء والجدال وهما صفتان مذمومتان قال ﷺ: "لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه"، وكذلك يجدب على المسلم في مجلسه ألا يتقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة وكذلك الفحش والسب وبذاءة اللسان، قال ﷺ: "إياكم والفحش فإن اللّٰه تعالى لا يحب الفحش والتفحش"، ويجب على المسلم الابتعاد عن اللعن لقول الرسول ﷺ: المؤمن ليس بلعان".

ومن الأشياء التي يجب أن يراعيها المسلم عند حديثه في مجلسه مع إخوانه عدم السخرية والاستهزاء، قال ﷺ: "من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله" كذلك فإن ما يجب على المسلم مراعاته في حديثه هي الغيبة وهي من أعظم المحرمات والذنوب قال ﷺ: "إياكم

والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا..." والنميمة كذلك لا تقل سوءا عن الغيبة، قال ﷺ: "لا يدخل الجنة نمام"[1]، وهذا لون من أدب الحديث في المجلس وامتثالا لتعاليم الله سبحانه وتعالى حيث قال: "وتناجوا بالبر والتقوى".

رابعاً: آداب الجلوس في الطرقات:

أ - **غض البصر**: فلا يفتح بصره في مارة من المؤمنات أو واقفه ببابها أو مستشرفة على شرفات منزلها أو مطلة على نافذتها لحاجتها كما لا يرسل نظره حاسدا لأحد وزاريا على أحد وليس معنى غض البصر أن يجلس الشخص مغمض العينين لأن مراد الإسلام من وراء ذلك أن يحفظ على الإنسان نفسه فمن سرح ناظره أتعب خاطره ومن كثرت نظراته ضاعت أوقاته، وقد أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين بالغض من أبصارهم في قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة النور:٣٠] ، وفي الحديث القدسي: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاته في قلبه"[2].

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، م٣؛ كتاب آفات اللسان، خرجه الإمام العراقي، وابن أبي الدنيا في الصمت وابن حيان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير.

(٢) ذكره الهثيمي في مجمع الزوائد وعزاه للطبراني، جـ٨، ص٦٣، وقال عبدالله بن اسحق ضعيف.

ب – كـــف الأذى: لقد مدح الرسول ﷺ أصنافا من الناس كفوا أيديهم عن أذى المسلمين وضمن الرسول ﷺ لهم الجنة فقال عليه السلام: "اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم"(1) ومعنى ومعنى كف الأذى ألا يؤذى أحدا بلسانه سابا أو شاتما أو عاتبا مقبحا ولا بيده ضاربا ولا سالبا لمال غيره غاصبا ولا معترضا في الطريق صادا المارة قاطعا سبيلهم.

جـ - رد السلام: أن يرد سلام كل من سلم عليه من المارة إذ أن رد السلام واجب لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ..﴾ [سورة النساء:٨٦] .

د – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والمعنى إذا شاهد المسلم في مجلسه معروفا قد أهمل شأنه فعليه الأمر بالمعروف مثل ذلك إذا نودي الصلاة ولم يجب الحاضرون وجب عليه أن يأمرهم بإجابة المنادي للصلاة، ولا يغيب عنه قول الرسول ﷺ: "لأن

(١) مسلم بشرح النووي، م١، ص ٣٨٩، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[1]، وكذلك يجب عليه إذا شاهد منكرا أمامه كأن رأى شخصا بغى على أخيه فسلبه ماله أو ضربه فعليه حينئذ أن ينهاه في حدود طاقته إذ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة كل مسلم.

هـ - **أن يرشد الضال**: لو استرشده أحد في بيان منزل أو هداية طريق أو تعريف بأحد من الناس لوجب عليه أن يبين له المنزل أو يهديه الطريق كل هذا من آداب الجلوس في الطرقات وذلك لقول الرسول ﷺ: "إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: مالنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[2].

آداب مجالس العلم:

لقد عقب الله عز وجل بعد أمره المؤمنين بالتوسع في المجالس بيانه لمنزلة العلماء وأن الرفعة عند الله بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور

---

(٢) البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس على الإسلام والنبوة، جـ١٢، ص١٢.

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ٤، كتاب الاستئذان، باب قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا ... ﴾ [سورة النور:٢٧] ص٨٦.

المجالس: "يرفع الله الذين آمنوا منكم" جواب الأمر كأنه قيل: إن تنشزوا يرفع عز وجل المؤمنين منكم في الآخرة جزاء للامتثال "والذين أوتوا العلم "الشرعي" درجات" أي كثيرة جليلة كما يشعر به المقام، وعطف "الذين أوتوا العلم" على "الذين آمنوا" بين عطف الخاص على العام تعظيما لهم بعدهم كأنهم جنس آخر ولذا أعيد الموصول في النظم الكريم"[١].

منزلة العلم والعلماء: لقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماما كبيرا لم يسبقه إليه دين قبله ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت في القرآن الكريم كانت دعوة إلى العلم يقول تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [سورة العلق:١] ، ولم يكن الأمر في هذه الآية لمجرد المصادفة ولكنه دليل على اهتمام الإسلام بالعلم منذ بداية ظهوره.

شرف العلم: "العلم من حيث هو نور وهداية للمذنبين يهتدى به ولذا يصل به القرآن إلى ذروة التشريف والتكريم ويبلغ به أسمى المراتب والغايات ويعلق به كل خير واستقامة ويجعله مفتاح كل صلاح وفلاح ومرقاة إلى الدرجات العلا في الدنيا والآخرة وبيان ذلك: أن العلم صفة لله تعالى، وهو قرين نعمة الخلق، وهو أبرز امتياز لأدم على الملائكة وأول القرآن نزولا وهو وصف لإكرام الخلق وغاية التشريف لأهله"[٢].

---

(٢) الألوسي البغدادي، روح المعاني، م١٥، دار الفكر، ص ٤١، ٤٢.
(١) عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص١٨٩.

فضيلة العلم من القرآن والسنة:

قال تعالى﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ... ﴾ [سورة آل عمران:١٨] ، وقال تعالى: ﴿...يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ...﴾ [سورة المجادلة:١١] ، وقال تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾ [سورة الزُّمَر:٩]،وقال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ...﴾ [سورة فاطر:٢٨] .

ويقول الرسول ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"، وقال عليه السلام: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده"، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لكميل: يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق"، وقال علي أيضا رضي الله عنه : "العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه"(١).

وحسبنا أن نعلم أن رسول الله ﷺ قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرة عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة عملا على محو الأمية عن الأمة، ولم يسو الله بين العلماء

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ١، ص ٧.

والجاهلين فقال تبارك وتعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزُّمَر:٩].

ولقد عرف الصحافة فضل العلماء وقدرهم فقد روى أن زيد بن ثابت صلى على جنازة أمه، ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بعلمائنا، فقبل زيد يده وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

فضيلة التعلم: لم يكتف القرآن الكريم بتقرير شرف العلم والعلماء أو بيان منزلته ومنزلتهم من الفضل وإنما كلفنا بالعلم وحثنا على طلبه وتحصيله تارة على سبيل الأمر والإلزام وتارة على سبيل الندب والاختيار حسب نوع العلم وموضوعه ونهانا عن بعض ضروب العلم الضارة، لذلك قال الرسول ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وقال تعالى: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ...﴾ [سورة التوبة:١٢٢] وقال ﷺ: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة"، ومن الأقوال المأثورة: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة"، وقال الشافعي رضي الله عنه: "طلب العلم أفضل من النافلة".

ولم يفرق الإسلام بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بها جميعا وجمع علوم الكون في آية واحدة وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ...﴾ [سورة فاطر:٢٧] ، وفي ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض، ثم قال تعالى: ﴿... فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ...﴾ [سورة فاطر:٢٧] وفي ذلك إشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه ﴿...وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة فاطر:٢٧] ، وفي ذلك إشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ...﴾ [سورة فاطر:٢٨] ، وفيه إشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئا من علوم الكون، ثم يردف ذلك كله بقوله: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ...﴾ [سورة فاطر:٢٨] .

دور الداعية في نشر العلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه، "أنه من بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وماذاك ياأبا هريرة،قال: ذلك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه قالوا: وأين هو؟ قال" في المسجد، فخرجوا سراعا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: مالكم، فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يقسم، فقال لهم أبو

هريرة وما رأيتم في المسجد أحدا، قالوا بلى رأينا قوما يصلون وقوما يقرءون القرآن وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ "[1]، ويذكرنا موقف سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه في حثه التجار على طلب العلم بما يكون عليه حال الدعاة في نشرهم العلم إذ أن أبا هريرة رضي الله عنه كحان تلميذا نجيبا من تلاميذ الرسول ﷺ ، فلما تخرج من مدرسته ﷺ كان بعد ذلك أستاذا يقتدى به ويستفاد بعلمه، وهو في هذا الحوار الذي دار بينه وبين التجار في السوق يعلمنا كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى وكيف يكون الوعظ بالحكمة والموعظة الحسنة، وما أحوج الداعية إلى أن يتعلم من أبي هريرة هذا الدرس المستفاد الذي لو طبقه كل داعية لانتشر العلم النافع في كل مكان ولكان الإقبال على مجالسه أكثر بكثير من هذا الإقبال الذي نراه في زماننا هذا.

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، جـ١، كتاب العلم، ص٦١، ونسبه للطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

آداب المعلم والمتعلم: آداب المعلم:

أ – **التطبيق العملي:** ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ... ﴾

[سورة

التوبة:١٠٥].

ب – **البلاغ والبيان:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ... ﴾ [سورة البقرة:١٥٩].

ج – **لزوم الصبر والحلم:** ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ... ﴾

[سورة

الأعراف:١٩٩].

د – **التواضع ولين الجانب:**

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ... ﴾ [سورة الفرقان:٦٣].

هـ - **الترفع عن مجالس اللهو واللغو:** ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ ... ﴾

[سورة

القصص:٥٥].

و – **الاستزادة من العلم:** ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ... ﴾

[سورة طه:١١٤].

آداب المتعلم:

أ – الاستعانة بالله في طلب العلم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ... ﴾ [سورة

العلق:١].

ب – الرجوع إلى العلماء في أخذ العلم: ﴿... فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ...﴾ [سورة النحل:٤٣].

ج – التزام آداب المجالس العلمية:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ ...﴾ [سورة المجادلة:١١].

د – تخير الألفاظ الحسنة:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾ [سورة الحُجُرات:٢].

ومن آداب المتعلم مع من يعلمه: أن يتأدب معه ويبجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك، ولا يومئ بيده في وجهه، ولا يقل له ما تحفظ في كذا؟ وما مذهب إمامك؟ أو ما مذهب الشافعي في كذا وإذا أجابه لا يقل هكذا قلت أنا، أو كذا وقع لي، ولا يقل أفتاني فلان، أو غيرك بكذا، أو يقل أن جوابك موفق لأكتب وإلا فلا أكتب.

ويرتبط بهذه الآية الكريمة التالية لها وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة المجادلة:١٢]، وقد عمل بهذه الآية الإمام علي كرم الله وجهه فكان معه كما روى عنه دينار فصرفه دراهم وكان كلما أرد خلوة برسول الله ﷺ لأمر تصدق بدرهم ولكن الأمر شق على المسلمين وعلم الله ذلك منهم وكان الأمر قد أدى غايته وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها فخفف الله عنهم ونزلت الآية التالية برفع التكليف

وتوجيهه إلى العبادت والطاعات المصلحة للقلوب، ويقول تعالى: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المجادلة:١٣] وهنا نجد لونا من ألوان الجهود التربوية لإعداد هذه الجماعة المسلمة في الصغير والكبير من شئون الشعور والسلوك.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الآية ترتبط ارتباطا وثيقا بالآيات التي قبلها والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة المجادلة٩ :١٠] ، فهذه الآيات الكريمة ينهى الله تعالى فيها عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو المناجاة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ ، وكان من لطف الله لعباده أن يتبعها بالآيات التي من شأنها يصير سببا لزيادة المحبة والمودة بين المسلمين، حيث يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المجادلة١١ :١٣] ، فلقد

نادى الله في هذه الآيات جماعة المؤمنين أن يوسع بعضهم لبعض في أي مجلس من المجالس فإذا ما امتثلوا لهذا الأمر وسع الله عليهم لا في المجالس وحدها بل يوسع الله عليهم في أرزاقهم وهذا تعليم من الله عز وجل بأن من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ثم بين الله سبحانه وتعالى بعد ذلك أنه حتى إذا أمرهم بالنهوض من المكان كله للإفساح لغيرهم فعليهم الطاعة وتكون الحالة الرفعة في الدرجات يوم القيامة لهؤلاء الذين يعلمون أوامر الله ويعملون بها، ويؤكد ذلك الإمام الطبري، في تفسيره للآية حيث يقول إن النشوز يكون: "إلى كل خير: قتال عدو أو أمر بالمعروف أو الصلاة أو حق ما كان".

إن هذا التوجيه الإلهي ليبرز لنا صورة من صور التآخي في الله وما تقتضيه هذه الأخوة من المحبة والتواد والبعد عن التدابر والتشاحن والتباغض، وانطلاقا من هذا التوجيه يجدر بنا التحدث عن مفهوم الأخوة بصفة عامة، فالأخوة مصدر للفعل آخى وآخى فلان فلانا أخوة أي اتخذه أخا وكذلك أخاه مؤاخاة، والأخ هو من جمعك وإياه صلب – أي كان أخا شقيقا أو أخا لأب – أو هو من جمعك وإياه بطن – أي

كان أخا لأم أو من جمعك وإياه رضاعة من امرأة واحدة فهو أخ من الرضاعة، والأخ: الشريك – والأخ: الصديق – والأخ: من يتوخى مذهب أخيه أي يقصده.

والأخوة في الله منحه قدسية وإشراقة ربانية ونعمة إلهية يقذفها الله عز وجل في قلوب المخلصين من عباده، والأصفياء من أوليائه والأتقياء من خلقه، فيقول الله عز وجل: ﴿...لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [سورة الأنفال:٦٣] ، ويقول تعالى: ﴿... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٣] ، ولذا كانت الأخوة في الله صفة ملازمة للإيمان، وخصلة مرافقة للتقوى، إذ لا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة، كما أنه لا صداقة بلا تقوى، ولا تقوى بلا صداقة"[1].

المؤاخاة في الإسلام:

أما مبدأ الإخاء البشري العام فقد قرره الإسلام بناء على أن البشر جميعا أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة والرحم الواصلة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ...﴾ [سورة النساء:١]، وما

(١) عبدالله ناصح علوان، الأخوة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص٥.

أحق كلمة الأرحام المذكورة في هذه الآية أن تفسر بحيث تشمل بعمومها الرحم الإنسانية العامة لتنسق مع بداية الخطاب "يأيها الناس" ومع ذكر النفس الواحدة التي خلق الله منها جميع الناس رجالا ونساء وهي نفس آدم عليه السلام وعطفها على لفظ الجلالة "الله" في هذا المقام يدل على أن لهذه الأرحام شأن أي شأن وقد كان رسول الله ﷺ يقرر هذا المبدأ ويؤكده كل يوم أبلغ تأكيد وأوثقه، فقد روى أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة: "اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك الله وحدك ولا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة"، وبهذا الدعاء كان يناجي رسول الله ﷺ ربه بعد كل صلاة، وأنه ليدلنا أوضح دلالة على قيمة الإخاء البشري في رسالة الإسلام.

وإن الإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام بل يشد عضده ويقويه ويجعل له في الواقع الناس كتلة حية ملموسة تؤمن به وتطبقه وتدعو إليه وتدافع عنه فلا تنافي إذن بين الإخاء البشري العام وبين الإخاء الديني الذي نلمسه في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ [سورة الحُجُرات: ١٠] وقوله ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه..."(١).

(١) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص ١٣٤، ١٣٥.

وكانت البداية للإخاء الإسلامي في مكة لتوثيق العلاقة والروابط بين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي عن طريق المشاركة الوجدانية والزكاة التي كان يدفعها الأثرياء دون حد أدنى لتحرير الإماء والرقيق المسلمين من أيدي مشركي مكة، أما البداية الحقيقة الملموسة فكانت في المدينة حينما هاجر الرسول ﷺ وبدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والمؤاخاة بين الأوس والخزرج وسموا بالأنصار واندمج الجميع في مجتمع إسلامي واحد،وقد أشاد الله بهذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ [سورة الحشر:٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله؟ فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق... فربح شيئا من أقط وسمن فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة فقال النبي ﷺ: مهيم يا عبد الرحمن، قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: فما سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: أولم ولو بشاة"[1].

---

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار، جـ١٤، ص٢٦٤.

وترجع أهمية هذا الإخاء الذي قام به الرسول ﷺ إلى:

أولاً: إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة فكل جماعة لا تؤلف بينها أصرة المودة والتآخي الحقيقية ولا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة.

ثانياً: إن المجتمع – أي مجتمع – إنما يختلف عن مجموعة ما من الناس متناثرة متفككة بشيء واحد هو قيام مبدأ التعاون والتناصر فيما بين أشخاص هذا المجتمع، وفي كل نواحي الحياة ومقوماتها فإن كان هذا التعاون والتناصر قائما طبق ميزان العدل والمساواة فيما بينهم فذلك هو المجتمع العادل السليم وإن كان ذلك قائما على الحيف والظلم فذلك هو المجتمع الظالم والمنحرف.

ثالثاً: لم يكن ما أقامه الرسول ﷺ بين أصحابه من مبدأ التآخي مجرد شعار في كلمة أجراها على ألسنتهم وإنما كان حقيقة

عملية تتصل بواقع الحياة وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين، ولذلك جعل النبي ﷺ من هذه الأخوة مسئولية حقيقة تشيع بين هؤلاء الأخوة وكانت هذه المسئولية تؤدي فيما بينهم على خير وجه.

فضل الأخوة ومكانتها:

إن حرص الرسول ﷺ على إرساء مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم بين المسلمين بعد ذلك بصفة عامة ليدلنا على عظمة هذا المبدأ لذلك إذا تدبرنا آيات القرآن الكريم التي تحث على هذا الإخاء والأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على إرساء هذا المبدأ وتطبيقه بين المسلمين لرأينا مدى عظمة هذا الإخاء وفضله في توحيد الأمة الإسلامية.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٣] ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ...﴾ [سورة الحشر:١٠] ، ويقول تعالى: ﴿...ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [سورة الحشر:٨]، وفي قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ... ﴾ [سورة الحشر:٩]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ...﴾ [سورة الحُجُرات:١٢] ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾

[سورة الحُجُرات:١٠]،ويقول تعالى: ﴿... وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣] ، ويقول تعالى: ﴿... لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [سورة الأنفال:٦٣] .

وترجع نعمة الأخوة إلى أنها خالطت القلوب وأحالتها إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب وتؤدي إلى الولاء والتناصر والسماحة والهوادة، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [سورة الحِجر:٤٧] ويقول رسول الله ﷺ: "إن من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا في روح الله بينهم على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس"، ويؤكد الله تعالى على ضرورة الاعتصام والأخوة فيقول تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٣] .

درجات الأخوة وشروطها في الإسلام:

من درجات الأخوة "التعارف" ومعناه أن يتعارف الناس بعضهم ببعض، والتعارف بين المسلمين استجابة لأمر الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ...﴾ [سورة الحُجُرات:١٣] . وذلك يتطلب أن يعرف المسلم أخاه المسلم اسمه ونسبه وظروفه الاجتماعية، بل يعرف ما يحب وما يكره حتى يعينه إذا أحسن ويستغفر له إذا أذنب ويدعو له بالخير إذا أدبر ويحبه إذا تاب وتلك من حقوق المسلم على أخيه المسلم كما ورد ذلك في السنة النبوية المطهرة: روى الديلمي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أربع من حق المسلمين عليك، أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم".

التآلف: وهو أن يألف المسلم أخاه المسلم أو يألف الناس بعضهم بعضا وقد امتن الله على المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم فقال عز وجل: ﴿... وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٣] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ ...﴾ [سورة الأنفال:٦٣].

التفاهم: هو أن يتفاهم المسلم مع أخيه المسلم على الأصول الكبرى في الإسلام أولا ثم على بعض ما يتفرع عن هذه الأصول من مسائل وقضايا

يحتاج فيها إلى التفاهم وتلك الأصول التي يجب أن يتفاهم عليها المسلمون وهي الاعتصام بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [سورة النساء:١٧٥] ، وقال جل شأنه: ﴿...وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران:١٠١] ، والقرآن الكريم هو حبل الله الذي يربط بين هؤلاء المتآخين.

الرعاية والتفقد: وهي أن يرعى الأخ أخاه ويتابعه ويتفقد ظروفه ليبادر بتقديم العون له دون أن يسأله أخوه العون لأن ذلك من حق أخيه عليه، والأصل الإسلامي في وجوب الرعاية والتفقد هو ما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[١].

ومن رعاية المسلم لأخيه المسلم أن يعمل ما بوسعه على أن يفرج همه إذا أصابه هم وأن ييسر له ما عسر عليه من الأمر وأن يستره وأن يعينه في قضاء حوائجه، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.."[٢]، ومن رعاية المسلم لأخيه أن يؤدي نحوه الحقوق التي أوجبها الإسلام، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ١، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه، ص١٢.
(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، جـ٤، ص٢٠٧٤.

هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "حق المسلم على المسلم ست قيل ما هن يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه"(١).

التعاون: وهو المؤازرة والتظاهر، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى، فيقول الله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ...﴾ [سورة المائدة:٢] ، والتعاون ثمرة للتفقد والرعاية وهو يشد من أزر الروابط بين الأخوة في الإسلام ويدعم أسسها وقواعدها.

التناصر: وهو نوع من التعاون ولكنه أعمق منه وأشمل وأكثر دلالة على الموالاة والمحبة والتناصر بين الأخوين في الإسلام يعني أمورا كثيرة، فالأخ لا يسلم أخاه لشر أو مكروه ولا يخذله في موقف له فيه حق أو مصلحة لا يضر الحصول عليها بآخرين، وأن يأخذ الأخ بيد أخيه فينصره على شيطانه الذي يوسوس له بالشر وينصره على نفسه وما تهجس به من هواجس وأوهام تدعوه إلى التقاعس على فعل الخير، وأن

---

(٣) مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم السلام، جـ١٤، ص ١٤٣.

ينصره على كل من يقل عقبة في طريق الحق والهدى والدعوة إلى الله، وأن ينصره ظالما أو مظلوما ينصره ظالما بأن يمنعه من الظلم وممارسته وينصره مظلوما بأن يعمل على رفع الظلم عنه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله..."[(١)].

ومن شروط الأخوة[(٢)]: **"العقـل"** فلا خير في صحبة الأحمق، حيث إن الفهم والتفاهم مطلوب في الأخوة. **"وحسـن الخلـق"** لتقويم الأخلاق وإدراك الأشياء والابتعاد عن الغضب والشهوات، **"وأن يكـون غيـر فاسق"** فالفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض، قال تعالى: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ...﴾ [سورة الكهف:٢٨] ، وقال تعالى: ﴿... وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ...﴾ [سورة لقمان:١٥] .

"وألا يكـون مبتـدعا": فالمبتدع في صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته؟ وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: "عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على

(١) مسلم، م٦، ج١٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص ١٣٤، ١٣٥.
(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ٢، المكتبة التجارية الكبرى، كتاب الأخوة في الله.

أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على أمرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى".

"وألا يكون حريصا على الدنيا" فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص وبحالة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستجيب صحبة الراغبين في الآخرة، قال لقمان: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر".

حقول الأخوة في الإسلام ومنها السلام :

وهو من الحقوق التي توثق علاقة المسلم بأخيه المسلم وتقوى من رباط الأخوة وتسد الثغرات التي ينفذ منها الشيطان لتقويض عرى الأخوة: يقول رسول الله ﷺ: "حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس

فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه"[1]، "إن السلام من تحيات الملائكة والنبيين وشعار التلاقي في الجنة، وإن السلام من أسباب علو المنزلة ورفعة الشأن لأن النفوس المتصافية تزداد المودة والألفة فيما بينها ولا أدل على التصافي من انتشار السلام ففي إفشاء السلام تأمين وحشة المسلم واطمئنان قلبه إليك ورغبته في منادمتك وحتى نحرص سويا على تحقيق هذا الحب في الله الذي يثبته إفشاء السلام.

فالسلام هو التحية التي شرعها الله للمسلمين يحيي بها بعضهم بعضا وهي تحية ذات شرف وفضل لأنها من عند الله لا من عند غيره وهي كما وصفها الله مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿... فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ...﴾ [سورة النور:٦١] ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى وفي جعله تحية الإسلام ذكر الله تعالى وفي ذكره تعالى الخير، والبركة قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ...﴾ [سورة الحشر:٢٣] ، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ...﴾ [سورة الأنعام:١٢٧] ، فهي دار الله ودار السلامة التي أعدها الله لعباده المتقين، والسلام تحية الله تعالى لأهل الجنة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ...﴾ [سورة

(١) مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، جـ١٤، ص ١٤٣.

الأحزاب:٤٤] ، وقال تعالى في وصفه نعيم أهل الجنة: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يس٥٧ :٥٨] ، وهي تحية الملائكة لأهل الجنة قال تعالى: ﴿...وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد:٢٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ ...﴾ [سورة الزُّمَر:٧٣] ، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الواقعة٢٥ :٢٦] .

والسلام تحية الله في الدنيا لأنبيائه ولعباده الصالحين وكذلك تحية الملائكة لهم، قال تعالى في شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ... ﴾ [سورة هود:٦٩] ، ويقول تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الصافات:٧٩] ، ويقول تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [سورة الصافات:١٠٩]، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [سورة الصافات:١٢٠] ، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [سورة الصافات:١٣٠] ، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الصافات:١٨١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ يوما: يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقالت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته" وفي الصلاة التي هي أم العبادات يفرض على المصلي أن يسلم على النبي ﷺ وعلى نفسه

وعلى المؤمنين وعلى عباد الله الصالحين فيقول في تشهده: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين..وختام الصلاة يقول يمينا ويسارا "السلام عليكم ورحمة الله"[1].

وإذا كانت غاية السلام إزالة كل ما يدعو إلى تعكير صفو الجماعة المسلمة، فمن ثم فإن سلامة الصدر هي خير معين على توحيد قلوب المسلمين وتوثيق العلاقة بينهم، ومن ثم فإن الجماعة المسلمة تقوم على عواطف الحب المشترك والود الشائع والتعاون المتبادل، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر:١٠] ، وعن عبد الله ابن عمرو "قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال التقى النفي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد".

لذلك كان من حرص الإسلام على دوام توثيق هذه العلاقة التحذير من كل ما يدعو إلى تقويضها ويتمثل هذا التقويض في "النجوى" التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة المجادلة والتي هي باب من أبواب

(١) محمد محمد الشريف، صلاح الأمة على هدي السنة، دار الصحوة للنشر، ص١٧.

الشيطان الذي عن طريقه يبث البغضاء بين الجماعة المسلمة ويفت في عضدها لهذا قال الرسول ﷺ: "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم"، ويصف الله سبحانه وتعالى هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٠] ، وإنها صفة من صفات اليهود والمنافقين الذين نهوا عنها ولم ينتهوا ولكن الله علم جماعة المؤمنين ألا يسلكوا هذا المسلك، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه"[١].

ومن منطلق توجيهات النبي ﷺ في بيان حق المسلم على المسلم نتتبع بقية الحقوق: "النصح له" ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ...﴾ [سورة التوبة:٧١] ، ويقول الرسول الكريم ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٢].

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ٤، كتاب الاستئذان ن باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة، ص٩١.
(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن تحب لأخيك ما يحب لنفسه، جـ١، ص ٥٦، ٥٧.

"**السعي في حاجته**" وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"(١).

"**كف الأذى عن المسلم**" فيقول الرسول ﷺ ناصحا المسلمين "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"(٢)، فكف الأذى عن المسلم حق من حقوق الأخوة في الله.

"**نصر المظلوم**" وحتى لا تضيع الحقوق وتنتشر الفوضى ويأكل القوي الضعيف فقد أمرنا النبي ﷺ بنصرة المظلوم والوقوف بجانبه حتى يعود الحق إلى صاحبه فقال ﷺ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، وفي نصرة المظلوم حتى يأخذ بحقه والأخذ على يد الظالم حتى يكف عن جنايته حفظا لنظام المجتمع وحماية الضعفاء من جبروت الأقوياء" عدم التقاطع والهجران"، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال محذرا من الخصام والهجر بين المسلمين: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وعلى الذكر، جـ٤، ص ٢٠٧٤.

(٢) البخاري بحاشية السندي، جـ١ ، ص ١١.

"**عدم احتقار المسلم والتنقص منه**" مادام المسلمان قد اجتمعا على طاعة الله فلا ينبغي الواحد منهما أن يحتقر أخاه أو يعيبه أو ينتقص من شأنه فهذه آفة مذمومة نهى عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ...﴾ [سورة الحُجُرات:١١].

"**الدعاء للمسلم**" ويحض الرسول ﷺ على ذلك فيقول: "ما من مسلم يدعو لأخيه في ظهر الغيب إلا قال الملك: ولك مثل ذلك"[1].

"**ستر المسلم لأخيه المسلم**": يقول الرسول ﷺ: "من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة".

"**رد غيبة أخيه المسلم**": يقول ﷺ: "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة".

"**عفو المسلم عن أخيه**": يقول الله تعالى في ذلك: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [سورة الأعراف:١٩٩]، ويقول تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [سورة الشورى:٤٣]، ويقول الرسول ﷺ: "إنما أنزل هذا العفو من أخلاق الناس أي تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك".

---

(٣) مسلم، م٦، جـ١٧، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين، ص٤٩.

"الوفاء والإخلاص": يقول الله تعالى: ﴿... وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٤] ، ويقول الرسول ﷺ محذرا من عدم الوفاء في حديثه الشريف: "أربع من كن فيه كان منافقاً....[1].

دور الداعية في توثيق روابط الأخوة بين المسلمين:

يجب أن يدرك الداعية المسلم أنه من السهولة أن يسمع له الناس، ولكن من الصعوبة بمكان أن يعمل معه هؤلاء الناس لأن الاستماع أمر محبب إلى النفس ومن الممكن أن يدفع لك الناس اشتراكا ماديا، لكن من الصعوبة أن يشتركوا معك في قول الحق، فطريق الدعوة ليس شعارات ولا هتافات أو مظاهرات كلامية.

وإنما هي علم دؤوب متواصل يهدف إلى نقل الناس من المحيط الآسن إلى المحيط الهادي ومن البحر الأسود إلى البحر الأبيض، وهذا يحتاج إلى عاطفة قوية طاهرة ليستعذب حلاوتها ويتذوق شهدها ويأنس إليها وبها، وصدق رسول الله ﷺ إذ يوجهنا إلى هذه المعاني الجليلة فيقول عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من عباد الله أناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم عند الله..."[2].

---

(١) مسلم، م١، جـ٢، باب خصال المنافق، ص ٤٦.

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، جـ٤، باب الترغيب في الحب في الله تعالى، ص ٤٨، نسبة لأبي داود.

وإذا أراد الداعية أن يؤلف بين قلوب المدعوين فعليه أن يسلك هذه المبادئ:

أولاً: شعور المدعو أنك تدعوه إلى مبدأ لا إلى نفع شخصي، ولنا في أنبياء الله الأسوة الحسنة فكل نبي دعا قومه بين لهم أنه لا يريد من وراء دعوتهم جزاء ولا شكورا، ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [سورة الشعراء:١٠٩] .

ثانياً: شعور المدعو أنك حريص عليه تحب له الخير، ألم تر ما قاله كل رسول ونبي لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥﴾ [سورة الشعراء:١٣٥] .

ثالثاً: عدم تعنيفه ولو بالكلمة، مع الرفق به.

رابعاً: أن تدنيه منك وتلاطفه وتهش في وجهه ولا تتبع عوراته.

ومن حق المسلم على المسلم "التكافل"، ويعتبر هذا الحق على رأس هذه الحقوق وأهمها حيث إنه من السهل على الإنسان القيام بالحقوق السابقة كاملة لأنها لا تكلفه عناء ماديا، لكن من الصعب عليه أن يتكلف لأخيه من الناحية المادية وهذا ما يضع هذا الحق في المرتبة الأولى من حقوق المسلم على أخيه المسلم.

والتكافل كما جاء في مختار الصحاح في باب "كفل": الكفل: الضعف قال الله تعالى: ﴿... يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ...﴾ [سورة الحديد:٢٨] ، وقيل إنه النصيب، وذو الكفل اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو من الكفالة، "والكفل" أيضا ما "اكتفل به الراكب وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب ومنه حديث إبراهيم قال: يكره الشرب من ثلمة الإناء ومن عروته قال: يقال إنها كفل الشيطان" والكفيل: الضامن وقد كفل به يكفل بالضم "كفالة" و"كفل: عز بالمال لغريمه، وأكفله المال ضمن إياه و"كفل: إياه بالتخفيف: "تكفل" هو به من باب نصر ودخل، و"كفله" إياه "تكفيلا" مثله و"تكفل" بدينه و"الكافل" الذي يكفل إنسانا يعوله ومنه قوله تعالى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ...﴾ [سورة آل عمران:٣٧] وقرئ و"كفلها" بكسر الفاء و"الكفل" بفتحتين للدابة وغيرها.

المعنى اللفظي للتكافل الاجتماعي:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة[١]: يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادرا أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمده بالخير وأن تكون كل القوى

---

(١) محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، ص

الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة ولعل أبلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماعي قوله عليه الصلاة والسلام: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[1].

والتكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤاداه أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها وأنه إن تقاصر في أدائها فقد يؤدي ذلك إلى انهيار البناء عليه وعلى غيره وأن للفرد حقوقا في هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال، والتكافل الاجتماعي يوجب سد حاجة المحتاجين ممن لا يستطيعون القيام بعمل يسد عجز العاجزين ويهيئ العمل للقادرين ويربي النشأ تربية تظهر القوي والمواهب والذين يخرجون إلى الحياة وقد فقدوا الآباء والذين يعجزون بعد القدرة من العاملين فعلى المجتمع أن يسهل لهم الحياة كفاء ما قدموا من خدمات وإن التكافل الاجتماعي يوجب على كل قوى المحافظة على سلامة الآحاد ليسير في قافلة المجتمع العاملة"، "فالتكافل ارتباط متداخل هدفه الإبقاء على نقاوة المجتمع وصيانة نفسيات أفراده والحفاظ على المحبة باعتبارها لحمة النسيج الاجتماعي في الإسلام"[2].

---

(١) البخاري بحاشية السندي، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، جـ٤، ص ٥٥؛ مسلم، م٦، جـ١٦، ص١٣٩.

(٢) أحمد العناني: أربعة أبعاد للتكافل الاجتماعي الإسلامي "مجلة الوعي الإسلامي" عدد ٢٤٨ مايو سنة ١٩٨٥، ص ٣٠ ـ ٣٥.

مصادر التكافل الاجتماعي:

أولاً: الزكاة: تعتبر أعظم مورد من موارد التكافل الاجتماعي وهي الواجب الأول على الدولة بالنسبة للفقراء، ولأهمية الزكاة فقد كان رسول الله ﷺ يرسل ولاة الصدقات إلى القبائل التي كانت تدخل في الإسلام لكي يجمعونها وقد جاء في وصاياه ﷺ "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا غلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما".، "ويرى الفقهاء أن الزكاة فريضة اجتماعية تشطر من مال الغني قدرا معلوما يجمعه ولي الأمر جبرا عن صاحبه إن امتنع ويكون في تركته يؤخذ منها إن لم يسدده في حياته"، وتكون الزكاة في الأموال والتجارة والمواشي والزروع.

ويقول الله تعالى في الحض على الزكاة: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج ٢٤ :٢٥]،ويقول تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١٠٣]، ويقول سبحانه محذرا من عدم تقديم الزكاة: ﴿... وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة فُصِّلَت٦ :٧] .

ثانياً: الصدقات: وهذه الصدقات تكون في عيد الفطر ليكون العيد بارا بالفقراء ويدفعها الغني لمن يعرف من الفقراء، روي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن مما يلحق المؤمن عمله وحسناته بعد موته علما نشره، أو ولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه ومسجدا بناء، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته".

ثالثاً: الكفارات: وهي عقوبات قدرها الشارع الحكيم على: من أفطر في رمضان عاجزا عن الصيام، ومن حلف على أمر يريد فعله ثم حنث في يمينه، ومن تعمد الإفطار في رمضان وهو قادر على الصيام، ومن افترى على نفسه وقال إن امرأته كأمه في التحريم ولا شك أن هذه الكفارات تسد حاجة الفقراء الذين يطعمهم من فرضت عليه الكفارة...".

رابعاً: النذر: قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ...﴾ [سورة الإنسان:٧] ، ولنتعرض لهذا المورد ببعض التفصيل:فالنذر قربة من القرب، وعبادة يبتغي بها وجه الله، وسبيل من سبل البر بالمحتاجين، والأدلة من الكتاب والسنة قائمة على صحته وشاهدة على مدح فاعله، ومتظاهرة على أنه من جملة الطاعات التي يتقرب بها إلى رب السموات، وقد كان النذر في الشرائع القديمة قربة كما هو في شرعة الإسلام قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا...﴾ [سورة آل عمران:٣٥] أي خالصا لوجهك، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، وقال تعالى: ﴿... فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [سورة مريم:٢٦] والآيتان صريحتان في أن النذر كان مقررا في الشرائع السالفة

قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أقره وهذب حواشيه ونظم أصوله حتى يتمخض للعبادة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٠] .

روى أحمد عن كردم بن سفيان: "أنه سأل رسول الله ﷺ عن نذر نذره في الجاهلية، فقال له: الوثن أو لنصب؟ قال لا، ولكن لله فقال أوف لله ما جعلت"، وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه"[1].

مشروعية النذر:

هو مشروع بالكتاب والسنة، ففي الكتاب يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ...﴾ [سورة البقرة:٢٧٠] ، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج:٢٩] ويقول تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [سورة الإنسان:٧] ، وفي السنة يقول ﷺ: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه".

متى يصح ومتى لا يصح :

يصح النذر وينعقد إذا كان قربة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ويجب الوفاء به، ولا يصح إذا نذر أن يعصي الله، ولا ينعقد

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان والنذر، باب النذر في الطاعة، جـ٢٥، ص٨٠.

كالنذر على القبور، وعلى أهل المعاصي، وكأن ينذر أن يشرب الخمر أو يقتل أو يترك الصلاة أو يؤذي والديه، فإن نذر ذلك لا يجب الوفاء به بل يحرم عليه أن يفعل شيئا من ذلك، ولا كفارة عليه لأن النذر لم ينعقد، يقول ﷺ: "لا نذر في معصية"[1]، وقيل: تجب الكفارة زجرا له وتغليظا عليه[2].

خامساً: الغنائم: والغنائم هي ما يقع تحت أيدي الغزاة المسلمين من أموال المشركين وأسلحتهم وأمتعتهم وغير ذلك من الممتلكات إذا حاربوهم وانتصروا عليهم[3] يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنفال:٤١] وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهرا وأعطيت الشفاعة".

---

(١) أبو داود، كتاب الإيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، جـ٣ ن ص ٢٢٩.

(٢) السيد سابق فقه السنة، جـ٢، دار الفتح للإعلام العربي، ص ٧٢.

(٣) عبد المنصف محمود عبد الفتاح، التنمية والعدالة والتكافل الاجتماعي في الإسلام، مؤسسة روز اليوسف، ص ٦٥.

سادساً: الوقف: يقول الرسول ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له"، وكان أول واقف في الإسلام هو عمر بن الخطاب.

سابعاً: العمل: يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ...﴾ [سورة المُلك:١٥] ، ولقد قرر النبي ﷺ: "إن من الذنوب مالا يكفره إلا السعي في طلب الرزق".

ثامناً: الهدى: وهو كل ما يهدي إلى الحرم من الإبل أو البقر أو الغنم قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ ...﴾ [سورة الحج:٣٦] .

تاسعاً: الوليمة في النكاح: عن أنس رضي الله عنه قال ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب: أولم بشاة"[1].

صور من التكافل الاجتماعي:

أ - كفالة الموسرين من الأقارب: لقد حارب الإسلام البطالة وحث على العمل حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره وحتى يسعى على نفسه وعلى عياله ويوفر له ولهم القوت.

(١) البخاري، كتاب النكاح،باب من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض،فتح الباري، جـ٩، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

ويوصي الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ...﴾ [سورة النحل:٩٠]، ويقول تعالى: ﴿... وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ...﴾ [سورة النساء:١] ، ويقول سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ... ﴾ [سورة الإسراء:٢٦] ، ويقول الرسول ﷺ: "بر الوالدين والأقارب واجب، وقال: أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي ذلك حق واجب ورحم موصولة".

والإسلام يأمر بالإنفاق على الأقارب والمساكين وابناء السبيل، وقد جعل الله ذلك حقا يجب أداؤه، وقد اختلف العلماء في تحديد ذوي القربى الذي يجب الإنفاق عليهم فقيل المراد بالآية الكريمة "وأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل..." ما يتعين من صلة الرحم والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه"، ويقول الإمام مالك رضي الله عنه : إن القرابة التي توجب الإنفاق هي قرابة الأبوين والأولاد المباشرين فتجب نفقة الولد العاجز عن الكسب على أبويه، ونفقة الأبوين على الولد إذا كان قادرا وكانا فقيرين.

أما الإمام الشافعي فرأيه أوسع قليلا، هو أن الأصول من الآباء والأجداد والجدات تجب نفقتهم على فروعهم والفروع من الأولاد وأولاد الأولاد تجب نفقتهم على أصولهم، وإن كان هذا الرأي لا يمثل الفقه الإسلامي كاملا.

والحنفية يرون أن القرابة التي توجب النفقة هي القرابة المحرمة، أي القرابة التي تحرم الزواج فالأعمام والعمات والأخوال والخالات تجب نفقتهم على أقاربهم ولكن لا تجب نفقة ابن العم على ابن عمه.

أما الإمام أحمد بن حنبل فهو يعم القرابة كلها بلا استثناء فكل من يرث الفقير العاجز عن الكسب إذا مات غنيا تجب عليه نفقته في حالة عجزه، لأن الحقوق متبادلة، والغرم بالغنم، والميراث يمتد فيشمل القرابة كلها، سواء أكانت قرابة قريبة، أم كانت قرابة بعيدة، وهو المعمول به في أكثر البلاد العربية.

ب – النفقة على الضعفاء: يقول الرسول ﷺ موصيا بذلك: "أبغوني في ضعفائكم، إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم"، وفي ذلك يقول الشيخ أبو زهرة: "إذا لم يكن في القرابة قاصيها ودانيها من يستطيع الإنفاق على الفقير العاجز فعندئذ ينتقل الوجوب من الأسرة الصغيرة إلى الأسرة الكبيرة وهي المجتمع ممثلا في الدولة التي تحميه وتتسق بين قواه وتقوم بالقسط فيه وتنفذ التكافل الاجتماعي فيه على أكمل الوجوه".

جـ - الإيثار والتضحية: بما هو عزيز على النفوس في سبيل الآخرين فلابد للتكافل من قوم يؤثرون على أنفسهم ويضحون بالغالي والعزيز عليهم فالمجتمع فيه الواجدون والمحرومون وإذا لم يؤثر

الواجدون على أنفسهم ولم يضحوا بما يملكون لم يقم التكافل ولم يتم التعاون، ويأتي هذا عن طريق التربية الخلقية للمسلم كما صورها القرآن الكريم، ومن صور التكافل الاجتماعي المسئولية والرحمة حتى بالحيوان، فيقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو عثرت بغلة في صنعاء لكنت مسئولا عنها لما لم أسو لها الطريق".

د – كفالة اليتيم: يقول الله تعالى في التحذير من عدم إكرام اليتيم والاعتداء عليه: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [سورة الفجر:١٧]، ويقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [سورة الماعون:٢] وفي الحض على إكرام اليتيم وكفالته يقول تعالى: ﴿ ...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢٠].

وهناك الكثير من صور التكافل بين الفرد والجماعة، وبين الفرد ونفسه، وبين الأمم المسلمة.

دور الداعية في العمل على نشر التكافل بين أفراد المجتمع:

يظن بعض الدعاة الذين لم يدرسوا أصول الإسلام دراسة وافية أنه دين صلاة وصوم لأن عنوانه المساجد والمساجد دور للعبادة ومن عرفها لا يعرف شيئا عن نظام الدنيا ولا يقف على أمراض المجتمع غير أن الداعية الحصيف المطلع الخبير بشئون الدين الإسلامي يرى أن الدين جاءه بسعادة الدنيا والآخرة وأنه أول دين أسس مبدأ التكافل الاجتماعي ولأن الداعية طبيب يقف عند رأس المريض لا يتركه حتى يشفى من دائه وخادم ساهر بجوار الأسرة حتى يهيئ لها وسائل العيش والحياة المستقرة وإنسان كريم نسي نفسه وذكر غيره لذا وجب عليه تفقد أحوال المحيطين به ممن هو مريض أو معسر فيقف خطيبا في الناس فيحثهم على هذا المبدأ بأن يهيئ لهؤلاء فرصة عمل كما فعل ذلك الرسول ﷺ في قصة الرجل الذي جاء إليه ﷺ وسأله الصدقة فعلمه الرسول ﷺ أن يأخذ قادوما ويذهب إلى الجبل فيحتطب"، بهذا استطاع النبي ﷺ أن يقضي على البطالة، وهذا نوع من أنواع التكافل، وأن ينقذ أسرة من الانهيار ويهيئ العيش الكريم لها في ظل حياة مستقرة سعيدة هذا أمر، والأمر الثاني الذي ينبغي على الداعية أن يأمر به الأغنياء هو إخراج زكاة أموالهم والمسارعة إلى دواعي الإحسان

ووجوه البر وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم لا ينفكون عنه في صباح ومساء [1].

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٧٤].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فقد ضرب لنا مثلا رائعا في بث روح التكافل بين أفراد المجتمع، وهذا درس للدعاة ينبغي أن يقتدوا به فلقد حدث أن رأى رسول الله ﷺ أحد هذه المناظر الحزينة فشق عليه مرآها فجمع المسلمين ثم خطبهم فذكرهم بحق الإنسان على الإنسان وخوفهم بالله واليوم الآخر ومازال بهم حتى جمعوا ما أغنى وستر، عن جرير قال: "كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة مجتابي النمار مشقوقي الملابس عامتهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة – تغير وحزن – فدخل ثم خرج

---

(١) وعن حديث الرسول ﷺ مع صاحب القدوم فقد روى أصحاب السنن: عن أنس ابن مالك رضي الله عنه: "أن رجلا من الأنصار، أتى النبي ﷺ.. فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء، قال: أئتني بهما... فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعاما وانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قادوما فائتني به... فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال له: "اذهب فاحتطب وبع... ولا أرنيك خمسة عشر يوما" فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم: فاشترى ببعضها ثوب، ووبعضها طعاما... فقال رسول الله ﷺ: "هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة؟ إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مقطع، أو لذي دم موجع".

فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١] ، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ...﴾ [سورة الحشر:١٨] ، ثم قال ليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة، قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه أن تعجز عنها بل لقد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول اللّه ﷺ يتهلل كأنه مذهبة أي صفحة مطلية بالذهب، فقال رسول اللّه ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا"(١).

(١) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص ٢٢٦.

الخاتمــة

وتشتمل على أهم التوصيات والنتائج:

أولاً: التوصيات:

ويعد بيـان أهم النتـائج التي توصلت إليهـا مـن خلال هذا البحـث فبـأي شـيء أقـدم هـذه التوصـيات الـتي اسـتفدتها مـن دراسـتي بهـذا البحث؟.

١- ينبغـي العنايـة التامـة بحفـظ القـرآن الكـريم حفظـا جيـدا ودراسته دراسة علمية لأنه أساس عمل الداعية ومن ثم أوصى الدعاة إلى الله تعالى بدوام حفظ القرآن الكريم فهو مصدرهم الأول في خطبهم أو أبحـاثهم أو محاضـراتهم فمنـه يستنبطون المنـاهج والوسـائل والأسـاليب وهـو سـر نجـاحهم وفـوزهم في الدارين.

٢- أوصي بمزيد الاهتمام بدراسة السور القرآنية دراسة موضوعية متخصصـة لاستنباط مـا فيهـا مـن المنـاهج والأسـاليب الـتي سـلكها الرسـل علـيهم السـلام في تبليـغ الـدعوة إلى كـل المجتمعات، والعمل على الاستفادة من هذه الدراسات

القرآنية في النهوض بمستوى الدعوة والدعاة وذلك بوضع الخطط والمناهج على أساسها.

٣- أوصي إخواني الدعاة بالبعد عن كل الصراعات الحزبية والسياسية والأهواء الذاتية حتى تثمر دعوتهم، وتؤثر كلمتهم ويفرغوا لمضاعفة نشاطهم في وسط مجتمعاتهم.

٤- أناشد كل الجهات المعنية بشئون الدعوة وإعداد الدعاة بالتركيز الشديد على النهوض بالمستوى العلمي والثقافي في إعداد الدعاة، كما أناشد المسئولين عن وضع المناهج، بربط مناهج الدعوة في كليات المعاهد الإسلامية قاطبة بحيث يكون منهجا علميا موحدا يساهم مساهمة علمية في تطوير الدعاة علميا ونظريا.

٥- أوصى الدعاة أن يحرصوا على الاهتمام بدراسة العلوم الدينية والدنيوية وخاصة العلوم العصرية، كعلم الحاسب الآلي، فذلك مما يعود على الدعوة بالنفع وعلى الدعاة بمسايرة العصر.

٦- الاهتمام بتكثيف الجهود لعقد الدورات التدريبية المطورة للدعاة وتحسين أوضاعهم الاقتصادية، والمعنوية مع الاهتمام بإمدادهم بالدراسات البيئية للمجتمعات المتنوعة، فإن ذلك يضمن لهم عملية النهوض بالدعوة، ولاسيما ونحن في عصر

التحضر والرقي، والدعاة في أمس الحاجة إلى مواكبة هذا التحضر.

٧- واجب على الدعاة أن ينتفعوا بمنهج أنبياء الله في دعوتهم لأقوامهم ومعرفة أحوال المجتمعات التي يدعون فيها، فيعملوا على إصلاح هذه المجتمعات بالدعوة الحكيمة والإرشاد السديد، ويعالجوا أمراض هذه المجتمعات برفق وصبر، وقوة عزيمة وثبات على الحق فلا يضعفوا في مواجهة العقبات التي تعترضهم وعلى قدر نجاحهم في تقويم الانحراف وهدم الفساد ونشر الصلاح، يكون نجاحهم في هذا الطريق.

٨- على الدعاة أن يقتدوا بمنهج القرآن الكريم ويتخذوه زادا لهم في إثبات القضايا الأساسية للدعوة إلى الله وترسيخها في قلوب وعقول المدعوين.

٩- لابد للدعاة من الجمع بين القول والفعل، فلا تكون أفعالهم مخالفة لأقوالهم فهم قدوة الناس في الأفعال والمسلمون ينتظرون منهم صحوة إسلامية مباركة تأخذ بأيدي المجتمعات إلى النجاة.

١٠- ينبغي للدعاة التنويع في أساليب دعوتهم، فالداعي طبيب القلوب والنفوس وما أكثر تنوع القلوب التي يحتاج كل منها إلى ما يناسبه، فعلى الداعي أن يكون ملما بحال المدعوين

وشئونهم حتى يضع الدواء مكان الداء فتثمر دعوته وتؤتي أكلها.

١١- إن ما يعانيه كثير من مجتمعاتنا من أمراض وعلل نفسية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية وسياسية، قد تنتج عن غياب المنهج الدعوي المتكامل فلا سبيل لعلاج هذه العلل كلها إلا بالرجوع إلى هذا المنهج وتطبيقه في شتى وسائل الحياة.

١٢- ينبغي على الدعاة مراعاة الدقة والأمانة في الاستدلال بالقصص لمعالجة بعض موضوعات الدعوة، فإذا ما أرادوا سرد قصة في استدلال لهم فعليهم أن يعتمدوا على قصص القرآن الكريم ففيه تحقيق الغرض في الهداية والإرشاد.

١٣- على الداعي أن يستقي منهج دعوته من أساليب القرآن الكريم فينوع في الأسلوب حسب حاجة المدعو فلا يعتمد في دعوته على الترغيب فقط فيطمع المدعو في عفو اللّٰه وجوده فيقع في الاستهتار والمعاصي، ولا يعتمد أيضا على أسلوب الترهيب فقط فيقنط المدعو من رحمة اللّٰه وإحسانه فيعيش في قلق دائم وخوف مستمر وربما كان ذلك حائلا يحول بينهم وبين هداية السماء فتكون نتيجته عكسية، لذلك على الداعي أن يجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب وضرب الأمثال والقصص القرآني.

١٤- أوصى الدعاة بألا يتشددوا أثناء أي حوار يجري بينهم وبين جمهور المدعوين وليكن حوارهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فإن ذلك مما يرغب الناس في دعواتهم ويجمع شتات قلوبهم، فنجدهم وقد التفوا حول هؤلاء الدعاة، واستجابوا لآرائهم.

١٥- كما أوصى أيضا بمراعاة الدقة في اختيار الدعاة المبعوثين من قبل الأزهر إلى شتى أقطار الأرض من أجل نشر الإسلام والتعريف به فيجب إعداد هؤلاء إعدادا علميا يتناسب وشرف الأمانة التي يحملونها وليكن هؤلاء البارزين والمتفوقين فكريا وسلوكيا وعمليا.

١٦- أناشد المسئولين عن الدعوة إنشاء جهازا عاما لتوجيه الدعاة إلى أقوم الطرق وأمثل المناهج لذلك ينبغي أن يكون القائم عليه من أرباب الفكر المستنير وأصحاب التخصصات في حقل الدعوة وتكون مهمته الرئيسية هي الدعوة النقية الخالصة من شوائب الأهواء والأغراض، وبعيدة عن أي مؤثرات محلية أو سياسية ولعل مجمع البعوث الإسلامية هو خير من يقوم بهذا الدور.

١٧- وفي الختام أوصي بمضاعفة الجهود المبذولة من أجل النهوض بالدعوة والدعاة، عن طريق وضع الخطط والمناهج المعتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.